مِنْ وَحْي إيْطَاليَا

دراسة ومختارات من شعر عبد الرحمن صدقي

د. إيهاب النجدي

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

ردمك: 8 - 06 - 704 - 9921 - 978
رقم الإيداع: 2018 - 1714
حقوق الطبع محفوظة للناشر
مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية
هـاتـف: 22415172 965 +
فاكـس: 22455039 965 +
بريد إلكتروني: **info@albabtaincf.org**

الطبعة الأولى
صدرت بمناسبة إقامة الموسم الثاني عشر
لمهرجان ربيع الشعر العربي - مارس 2019

الكويت

2019

التصدير

عبدالرحمن صدقي الشاعر المثقف والكاتب الفنان، صاحب المواهب الأدبية واللغوية، عمل في وزارة المعارف مشرفًا على دار الأوبرا، وعيّن وكيلًا فمديرًا لها لمدة عشرين عامًا، كان من أعضاء مجلس الفنون مما أتاح له الفرصة للسفر في بعثات إلى بلادٍ كثيرة، فزار في كلٍّ منها بدائع الطبيعة والآثار.

فهو العاشق للطبيعة، المسحور بمفاتنها وعجائب فنونها، فجاء شعره صادق الإحساس، حاضر الخيال، مترجمًا مشاعره بألفاظ دقيقة موحية.

أدعوكم أعزائي القراء إلى دخول عالم عبدالرحمن صدقي الفسيح وخصوصًا إيطاليا، هذا البلد الذي كانت تربطه به أوثق الصلات فهو متقنٌ للغة الإيطالية ومتزوج من السيدة الإيطالية «ماري كانيلا»، وزاد ارتباطه به من خلال عمله في دار الأوبرا واستقدامه لأهم الفرق المسرحية الإيطالية لتقديم العروض الفنية، كل ذلك نجده جليلًا في قصائده المختاره في هذا الكتاب والتي جاءت على قسمين:

الأول: قصائد الرحلة إلى إيطاليا وهي تسع قصائد أسهب الشاعر فيها بوصف الرحلة التي قام بها إلى إيطاليا بعد وفاة زوجته الإيطالية حيث صوّر الطبيعة الساحرة وغرامه بها بأسلوبه الشيِّق الممتع الموحي.

أما **القسم الثاني:** فهو في رثاء زوجته الإيطالية السيدة «ماري كانيلا» صاحبة الثقافة والذوق الرفيع، فقد عاشا معًا حياةً سعيدة، إلا أن هذه الحياة لم تدم طويلًا،

فتوفيت الزوجة الشابة محدثةً فاجعة كبيرة في حياة الشاعر، أسفرت عن ميلاد ديوانه (من وحي المرأة) والذي يعد من أهم الدواوين الشعرية في رثاء الزوجة، ترجم فيه الشاعر لحياتهما الزوجية، كأنك تطالع فيه شريطًا سينمائيًّا باللفظ والصوت والصورة، شعرًا صادقًا يحمل معاني الحب والألم والحزن ويفيض بهم.

وهكذا جاءت أشعار عبدالرحمن صدقي جسرًا حضاريًّا وصل الذات بالآخر والعربي بالإيطالي والشرقي بالغربي داعيًا للسلام والإخاء.

وأخيرًا أتوجه بالشكر للدكتور إيهاب النجدي الذي قام بجمع مادة هذا الكتاب بدقة وعناية مقدرًا جهده الطيب، وآملًا عزيزي القارئ أن تجد في قصائده الفائدة والمتعة.

والله ولي التوفيق

عبدالعزيز سعود البابطين
الكويت في 2018/8/13م
الموافق 2 ذي الحجة 1439هـ

****

الحضور الإيطالي
في شعر عبد الرحمن صدقي

(1)

عبَر الشاعر العربي الحديث حواجز عديدة من الاختلاف القومي والديني والتاريخي؛ ليقيم جسرًا إنسانيًّا حضاريًّا، بين الشرق العربي والغرب الأوروبي، وعزّز ذلك – ولا ريب – المشترك الجغرافي المتمثل في البحر المتوسط، فقد شكل أفقًا رحبًا للاتصال والتواصل بين شماله وجنوبه.

وكان لإيطاليا – خاصة – تداخلاتها البارزة في الحياة العربية الحديثة، فتؤكد الإحصاءات أن الإسكندرية – على سبيل المثال – كانت تستقبل من الموانئ الإيطالية سفنًا أكثر مما تستقبل من أي بلد أوروبي آخر، بما فيها فرنسا، ومع الهجرة الأوروبية إلى مصر في عصر إسماعيل (1863 – 1879) وتضاعفها في عهد الاحتلال (1882 – 1914) احتل الإيطاليون المرتبة العددية الثانية بعد اليونانيين، وظلت للأسرة الحاكمة علاقة خاصة بهم، فتطلع إسماعيل إلى أرض الفنون عندما بنى قصوره، وعمل المهندسون الإيطاليون على إقامتها على نسق قصور الأمراء في عصر النهضة، وعند افتتاح الأوبرا عام 1869، اختيرت أوبرا عايدة للموسيقار الإيطالي فيردي، ولما تعذر ذلك، افتتحت بأوبرا «ريجوليتو» وهي إيطالية أيضًا، واشتهر الملك فؤاد بزياراته إليها، وكذلك الملك فاروق الذي كانت زياراته لإحدى جزرها (كابري) من أهم أسباب سوء سمعته، فضلًا عن أنه اختار

تلك البلاد مثل جده (إسماعيل) مقرًّا لإقامته بعد الخلع، كما لم يغفل الأدباء عن تسجيل مشاهداتهم وسياحاتهم فيها[1].

وقد تعرّف الأديب العربي على إيطاليا وثقافتها، قبل أن يرتحل إليها دارسًا أو سائحًا أو مقيمًا، فيذكر طه حسين في «الأيام» أستاذه المستشرق الإيطالي نالينو الذي كان يدرّس باللغة العربية تاريخ الأدب والشعر الأموي، يذكره ضمن أساتذة الجامعة المصرية الذين «ملكوا عليه أمره، واستأثروا بهواه»[2].

ومن أمثلة الرحلات الأدبية إلى إيطاليا، رحلة عبد الوهاب أبو العيون في صيف عام 1924، ونشرت بالأهرام تحت عنوان «مشاهدات سائح»، وقد ذهب إليها محملًا بقدر من الانطباعات والقراءات والآراء المسبقة، فيصدر أحكامه على الإيطاليين في بلادهم تحت تأثير انطباعاته عن أبناء جلدتهم المقيمين في مصر، حتى إنه يعرب عن دهشته عندما يصادف سلوكًا يختلف عن ذلك الانطباع الذي حمله معه.

ويقصد أمير الشعراء أحمد شوقي روما في مطلع القرن العشرين، حتى يرد إلى نفسه اطمئنانها وخشوعها، ويداوي فؤاده من نشوة اغتراره بما رأى في باريس، فتصحبه الروح الإسلامية، وتنطلق مع شاعريته أينما اتجهت، فيتوسل بشعائرها وهو في حاضرة الغرب المسيحية، يقول: «فبلغتُها وإذا أنا بين أثر يكاد يتكلم، وحجر كان لكرامته يُستلم، فوقفت أتأمل ذا الجدار وذا الجدار، وأنشد ذلك القصر وتلك الدار، إلى أن ثار الشعر، والشعر ابن أبوين: التاريخ والطبيعة». والحق أن قصيدته «رومة» جاءت (بنت أبيها التاريخ) فهي – بتعبيره أيضًا – «إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر»، وكان الهدف من الاتكاء على التاريخ هو أخذ العبرة والاعتبار.

(1) انظر: د. يونان لبيب رزق: مشاهدات سائح مصري في إيطاليا. جريدة الأهرام – بتاريخ 2000/9/14.
(2) الأيام، الجزء الثالث. دار المعارف، 1980، ص 34.

أما روما المعاصرة، فتبدو خلاصة لمتناقضات التاريخ والواقع، حتى بلغت الغاية والنهاية في العز والذل:

رومــةُ الـزهـوِ فـي الـشـرائـع، والـحـكـمـة
فــي الحُــكــم، والــهــوى والمــجــانــهْ
والــتَّــنــاهــي فــمــا تــعــدَّى عــزيــزًا
فــيــكِ عــزٌّ ولا مَــهــيــنًــا مهانه[1]

ولأن الرحلة التي قام بها حافظ إبراهيم إلى إيطاليا هي رحلته الوحيدة إلى أوروبا، فقد حاول في قصيدته عنها أن يقول كل شيء، فحفلت بالانطباعات العامة، والصور المحسوسة القريبة، التي تلتقطها عين السائح العابر، لا عين المفكر الشاعر، بدءًا من صور البحر والعواصف، والسفينة (إسبيريا) التي أقلته، وانتهاءً بواقع الحياة في المدينة الغربية، وتلمس أوجه الاختلاف مع الحياة في الشرق. ويخص الفنون الإيطالية بإعجاب ظاهر، وأبرزها فن التماثيل الذي اشتهر به الإيطاليون:

إيــه إيـطـالـيـا عَــدَتْــك الــعــوادي
وتــنــحّــى عــن ســاكــنــيــك الــثُّــبــورُ
فــيــكِ يــا مــهــبــطَ الجــمــال فــنــونٌ
لــيــس فــيــهــا عــن الــكــمــال قُــصــور
ودُمًــــى جــمّــعَ المحــاســنَ فــيــهــا
صَــنَــعُ الــكــفِّ عــبــقــريٌّ شــهــيــر
قــد أقــيــمــتْ مــن الجــمــادِ ولــكــنْ
مــن مــعــانــي الحــيــاة فــيــهــا سـطـور

(1) ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: د. أحمد الحوفي، نهضة مصر، 1980، جـ1/ ص157 – 158.

فـهـي تـبـدو مـن المـلائـك يـكـسُـو
هـا جـمـالٌ عـلـى حِـفـافَـيْـه نـور
أُمِـرتْ بـالـسـكـوت مـن جـانـب الحـقِّ
بـدنـيـا فـيـهـا الأحـاديـثُ زُور[1]

من هـذا البعد الجمالي، كانت إيطاليا وطبيعتها وإنسانها موحي أكثر من قصيدة لعلي محمود طه، فوصف «بحيرة كومو»[2]،ووقّع «أغنية الجندول في كرنفال فينيسيا»[3]، وصوّر «راكبة الدراجة»[4] التي رآها مرحة شائقة ذات صباح في الطريق الصاعد من هرميتاج إلى فينيسيا، وفي «جزيرة العشاق»[5] سجل ذكريات رحلته عام 1938 بين بركان فيزوف وجزيرة كابري والجروتا المشهورة بها، ونلمس في كل هذه القصائد الأجواء المفضلة عند شاعر متبتل في معبد الجمال، «برناسيّ» الأداء عندما يتفنن في التعبير، وينحت صوره مثلما ينحت مثّال إيطالي قديم تماثيله من رخام.

كان الشعر حاضرًا إذن، يستلهم بلد الفنون الـذي يمتد جنوبًا في عمق المتوسط، وشمالاً في جغرافيا أوروبا، ولم يقتصر الاستلهام على الطبيعة والتاريخ، وإنما قارب أبعادًا سياسية، وإنسانية، وثقافية وغيرها، واستند الشعراء – وهم من أجيال متعاقبة – إلى تجارب معيشية، ورحلات ثقافية، فنجد حافظ إبراهيم يرسم صورًا مؤلمة لما أحدثه ما سمي بزلزال «مِسِّينا» بالجنوب الإيطالي سنة 1908، ويختتم قصيدته بتحية كل من آزر إيطاليا معنويًّا وماديًّا في مصابها[6].

(1)ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه ورتبه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، دار الجيل بيروت، د. ت، جـ1/ ص229 رحلة حافظ إلى إيطاليا.
(2) ديوان علي محمود طه، شرح وتحقيق: د. محمد طريفي، دار الفكر العربي – بيروت 2001، ص130 – 134.
(3) السابق ص109 – 112.
(4) السابق ص372 – 373.
(5) ديوان علي محمود طه ص286 – 288.
(6) ديوان حافظ ، ص215 – 220 قصيدة: زلزال مسينا.

ونجد الشيخ صقر بن سلطان القاسمي يوقع شجنًا غزليًّا في قصيدة عنوانها «عروس فينيسيا»، ويستدعي الشاعر الكويتي علي السبتي شخصية حاكم روما الطائش «نيرون» في قصيدة حملت اسمه، وحين يجول أحمد بخيت في شوارع روما، يهتف – على البعد – إلى حبيبته «**لو كنتِ في روما معي!**»:

كنا تبادلنا الشجاراتِ الخفيفةَ
والعتابا
والخبزَ، والضحكَ المؤجل
والقصائد، والشبابا
والحبَّ تحت الشمس
حيث الحب
لا يخشى عقابا![1]

أما الشاعر عبد الرحمن صدقي (1896 – 1973) فقد كان كثير الأسفار، يزور في كل قطر بدائع الطبيعة وعجائب الآثار، فطوّف في إيطاليا وفرنسا وهولندا وإنجلترا، على أن رحلته إلى إيطاليا سنة 1946 – بعد وفاة زوجه – قد زحمت خاطره بشتى الخواطر التي تواردت على نفسه أثناء الرحلة، فانتظمت شعرًا في تسع قصائد، تمثل الجزء الثالث – الرحلة إلى إيطاليا – من ديوانه الأول، وهي تدوين للرحلة من أولها لآخرها، وهو في القصيدة الأولى «قبل السفر» والثانية «الليلة الأولى على البحر» والأخيرة «رجعة المسافر» يرثي زوجه ويبكيها. أما القصائد الست الباقية: ميناء نابولي، المدينة الخالدة، فلورنسا، جنوا، البندقية، وداع إيطاليا[2]، فيصور الطبيعة ويتذكر، وإن كانت الذكرى تخفت كلما أمعن في التصوير حتى تكاد تختفي في قصيدة «جِنُوا».

(1) ديوان: جزيرة مسك. منشورات أحمد بخيت، القاهرة، ص33.

(2) انظر ديوان: من وحي المرأة: عبد الرحمن صدقي. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965 ط3 الصفحات (231، 233، 238، 243، 266، 275، 280، 299، 304)

– كثرت أسفار الشاعر بحكم عمله بدار الأوبرا مدة عشرين عامًا، سكرتيرًا ثم وكيلًا فمديرًا عامًا إلى سنة 1956.

وقد صوّر الشاعر في قصيدة «ميناء نابولي» لحظة وصوله الميناء الإيطالي، وكان نائمًا حين سمع أصواتًا مهللة تردد: نابولي، نابولي. فانتفض من فراشه وصعد مهرولًا إلى ظهر السفينة مهتاج الشعور، يتطلع مع المتطلعين إلى المستقبلين على الشاطئ البعيد:

صحوتُ على التهليل والهاتف العالي:
هنا نابلي في الأفق تختالُ كالآلِ!

وهي تنقسم إلى قسمين: يرسم في القسم الأول لوحة وافية التفاصيل للميناء، والماء المشوب بورد الصباح، وعلى الرغم من حلمه المُلِحّ بلقاء زوجته، لكن تصافح عينيه أشياء أخرى، ومنها فيزوف - ذلك البركان الداخن - والدور والأبراج:

يصافح عيني الماءُ أزرقَ صافيًا
وقد شابَه وردُ الصباح بِجريال
ولاح بأقصى الأفق «فيزوفُ» داخنًا
كظيمَ اللظى يطوي كوامنَ أهوال
وقامت بقيْدِ العين أهضابُ جنةٍ
مُدارٌ على الميناء مَشْرَفُها العالي
وأبراجُ بيعاتٍ ودورٌ منيفةٌ
وأسوارُ آطامٍ وأمجادُ أطلال
تُطِلُّ علينا من علٍ في صعودها
قِبابٌ وأنصابٌ من المرمر الغالي
ممرّدةُ البنيان زاهٍ صِباغُها
تَوَهّجُ تحت الشمس كالنار للصالي
ركبنَ الروابي بدعةً فوق بدعةٍ
فتمّ بها للحسن أبدعُ تمثال[1]

(1) الآل: السراب. الجريال: النبيذ الأحمر اللون. البيعة: المعبد للنصارى. الآطام: الحصون.

بدا الشاعر في هذا القسم عاشقًا للطبيعة، مسحورًا بمفاتنها، وفي القسم الثاني تبدأ الحركة والتوتر والنمو، وفيه تُلقي السفينة مراسيها «ضحوة»، ويجوس الشاعر ديار الفن معجبًا، إلى أن مالت شمس النهار إلى الغروب، وهكذا يتحدد الزمان ليبدأ المشهد الحي من القصة الأسيانة:

فـمِـلْـتُ إِلـى خـانٍ أُواكـل أَهـلَـه
وأَنْـقَـع مـن مَشْروبـهـم حـرَّ أَوصالي[1]
وقـام مُـغَـنِّـيـهـم يـغـنـي شـرابَـهـم
عـلـى مِـعْـزَفٍ مُسْتكمل الـنـطـق قـوّال
يـغـنـي أَغـانـيـهـم حِـرارًا شـجّـيـةً
بـنَـغْـمٍ شـديـد الـوَقْـع فـي الـقـلـب فـعّـال
يـلـذ لأَسـمـاع الخـلـيِّـيـنَ وقـعُـه
ولـكـنَّـه عـنـد الـشَّـجِـي جـدُّ قـتَّـال
تـوالـى عـلـى سمـعـي، وأَفـضـى لمهجتي
وفَـضَّ مـغـالـيـقـي وحـطَّـم أَقـفـالـي
فـهـبَّـتْ مـن الأَعـمـاق هُـوجًـا عـنـيـفةً
بـراكـيُ أَشـجـانـي فـزَلْـزَلْـن زلـزالـي
وثـارت إِلـى عـيـنـي الـدمـوعُ سخـيـنـةً
وهـزَّ كِـيـانـي الـنَّـشْـجُ واشـتـدَّ إِعوالي[2]
إِذا بـي وأَهـل الخـان حـولـي، رحـمـةً
وعـطـفًـا، وَلَمَّـا يـسـأَلـوا كُـنْـه أَحـوالـي
وجـاءَوا مُـغـنِّـيـهـم، فـأَجْـمَـلَ شـدوَه
وقـد أَدركـوا مـأَسـاة عـمـري بـإِجـمـال

(1) خان: فندق للمبيت والطعام. ينقع: يروي العطش.
(2) النشج من نشج الباكي: غص بالبكاء من غير انتحاب، بعكس الإعوال: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

لقد أَدركـوا - يـا لحـنَ عمـريَ - أنني
طـروبٌ إِلـى لحـني، فـلا لحـنَ يهنا لي[1]

يعتمد الشاعر في الأبيات السابقة أسلوب القص، مما جعل منها وحدة متآزرة الأجزاء، يصعب الاجتزاء منها، إنها تستحضر المشهد القصصي من خلال أبرز عناصره، فالمكان (أو الخان) يحفل بحركة الشخوص، والحدث يتنامى ويتصاعد حتى يبلغ الذروة، ونجد الغناء الشجي «يلذ لأسماع الخليين»؛ وهو عند الحزين الملتاع «جد قتال»، فلا غرو أن تهب من الأعماق براكين، ويهتز الكيان بسخين الدموع (لقد انكشف المستور!)، وأدرك «أهل الخان» بإحساسهم العطوف «مأساة الشاعر»، وراحوا يجملون الغناء، ولكن كيف يسلو ويتعزّى؟ وكيف يطرب وقد فقد لحن العمر الطروب؟.

وفي ظل هذا النسج القصصي لا يتخلى الشاعر عن احتشاده اللغويّ، وألفاظه الدقيقة الإيحاء، ومنها ذلك الجمع بين ثوران الدموع والنشيج والإعوال في بيت واحد، ليرصد بحصافة لغوية تحولاته النفسية الأليمة، وأشجانه التي تكبر مع وفرة المثيرات، وبها يستدعي المستويات الصوتية للمشهد الحزين (فالنَّشْج بكاء من غير انتحاب، وهو خلاف الإعوال الذي يعني رفع الصوت بالبكاء والصراخ).

ويطوّف الشاعر في مطولته «المدينة الخالدة» بين معابد روما وأسواقها وأطلال حماماتها الرومانية، وأضرحتها ومسلاتها وأسوارها وكنائسها وعجائب فنونها، بالشعور نفسه «دهشان معجبًا» ومن زاوية النظر الجمالية الخالصة. وهو يبدأ رحلته الشائقة بتحية المدينة، معلنًا أن طوافه «بجوف زمان» وبغيته ليست المكان، وإنما الماضي الغابر:

(1) خفف همزة في «يهنأ» فصارت «يهنا» (م).

سـلامٌ علـى رومـا عـروسِ الحـواضـرِ

بمـا ورِثـتْ طـولَ الـقـرون الـغـوابـرِ

طَـوافـي هـنـا لا فـي المـكـان وإنمـا

بـجـوف زمـانٍ ذاهـبِ الـغُـور داهِـر

هـنـا حـيثما انـسـاقَـتْ خـطـاي مـعـالـمٌ

تحـدِّث عـن مـاضٍ مـن المـجـد دابـر

لكن المضي مع القصيدة إلى نهايتها، يطلعنا على أن المكان يقف بارزًا بجانب التاريخ، وأن استطلاع الماضي يأتي عبر الصور والرسوم، فهذي خرائب سوق رومانية قديمة تحتمي بالجلال، وبقايا أعمدة «لها روعة في النفس» ومعبد «البانثيون» [1] لا يزال موفور الكيان قائم الأركان، وكأنما أفاد قوته من كونه «معبد جميع الآلهة»:

خـرائـبُ تَسْتَعْدي الجـلالَ علـى البلـى

وتُـزْهَـى بمـطـمـوسٍ مـن الـفـن داثـرِ

جـواثـمُ إلا أنـهـا فـي جُـثـومـهـا

تَـنُـصُّ جـبـيـنًـا مُـثـخـنًـا غـيـرَ صـاغـر

بـقـايـا أسـاطـيـنٍ فـرادى مُـنـيـفـةٍ

جـلادٍ عـلـى الأيـام غـيـر خـوائـر

لـهـا روعـةٌ فـي الـنـفـس تُـشـعـر أنـهـا

مـحـاريـبُ ربٍّ أو قـصـورُ قـيـاصـر

(1) كان بناؤه بأمر الإمبراطور الروماني (أجريبا) في أواخر العهد الوثني.

بـيـوتُ عـبـاداتٍ ودورُ سـيـادةٍ
بـبـابـهـمـا ذلّـت جـبـاهُ الجـبـابـر
لـقـد دثـرتْ، لـم يَـحْـمِ ربٌّ بـنـاءه
فـأَهْـوى ومـا لاقـى مُـقـيـلاً لـعـاثـر
سـوى مـعـبـدِ الأربـاب جَـمْـعًـا كـأنمـا
أفـاد الـقـوى مـن سـرّهـا المـتـضـافـر

وبعد أن يقف أمام أقواس النصر التي خلدت جنباتها «ما أملى رواة البشائر» وملاعب روما «نزهة الخواطر» والكنائس التي قامت مقام المعابد الوثنية، يحدثنا عن تاريخ الفن وما جدّ فيه، و«المحراب السستيني» [1] بسقفه المزدان برسوم ميكائيل أنجلو. ولأن روما «جماع ذخائر» وكانت لها زعامة الحضارة مرتين:

في العهد الروماني، وفي عصر النهضة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر؛ فإن رحلة واحدة لا تروي ظمأ رجل الفن عبدالرحمن صدقي:

كـذا أنـتِ يـا رومـا جـمـاعُ ذخـائـرِ
وتـاريـخُ أكـوانٍ وسـفـرُ مـآثـرِ
كـذا أنـت أمٌّ لـلـحـضـارات تَـنْـطـوي
حـضـارةُ مـاضٍ فـي حـضـارة حـاضـر
وردتُـكِ مـشـتـاقًـا إلـى الـفـنِّ ظـامـئًـا
وعـدتُ عـلـى شـوقـي بـنَـغْـبـةِ طائر[2]

أما «البندقية» فهي حلم من الأحلام الإيطالية، وهي مثل ربة الحسن في الأساطير «أفروديت» وليدة البحر، فقد بنيت على ما يزيد على المئة من الجزائر

(1) أمر ببنائه البابا سستو الرابع، وعلى سقفه تهاويل لميكائيل أنجلو.
(2) من وحي المرأة ، ص243 – 263.

الصغار المتقاربة تفصلها الخلجان الضيقة، وتصل بينها الجسور، وقد فعل جمالها النادر بنفس الشاعر فعل السكر. ويودع إيطاليا على شاطئ بحيرة كومو، وعليها تنزلت السكينة في نفس الشاعر الحزين، بعدما صاحب «الألوان والطيب والأعطاف»، وهو حين يودعها يودع فيها الطبيعة اللطيفة، والفنون الجميلة بأشكالها وألوانها:

يا أرضَ إيطاليا الوداع على الهوى
والـــودِّ والـتـقـديـرِ والإنـصـافِ
أرضَ الطبيعة كالجنان تعرّضتْ
في الحُلم ألطافًا على ألطافِ
أرضَ الفنون تجمّعت آياتُها
كالشُّهبِ آلافًا على آلافِ[1]

وتتشابه قصائد «الرحلة الإيطالية» لصدقي، في مزجها بين الواقعي والشخصي والرثاء والوصف، مع مجموعة أشعار «أغاني روما الشجية» أو «أشجان رومانية» لشاعر ألمانيا الأكبر جوته، وقد جمع فيها «بين الفكرة العالية التي تجعل الشعر عظيمًا، وقوة الانتقال الشخصي الذي يجعل الشعر مؤثرًا».

وعلى سبيل المثال نورد «المقطوعة الأولى» منها، بترجمة رصينة لصدقي نفسه:

«أيتها الحجارة، حدثيني! أيتها الصروح الباذخة أجيبي! أيتها الطرق، انطقي بكلمة واحدة! ألا تستيقظين أيتها العبقرية؟ بلى، كل شيء حي في أسوارك

(1) من وحي المرأة، ص299 – 303.

القدسية يا روما الخالدة، إلا في ناظري وعند خاطري، فما برح الصمت على كل شيء مخيمًا، من يا ترى سيهمس لي هنا؟ من أية نافذة سيطالعني ذات يوم الوجه الحلو الذي يؤنسني وهو يحدثني؟

أليس لي أن أهتدي إلى الطريق الذي سيدرج فيه وقتي الغالي النفيس ذهابًا إليها، وإيابًا من عندها؟

لم أر حتى اليوم إلا بيعًا وصروحًا وأطلالاً وعمدًا، كالسائح الحازم الحريص على الفائدة من رحلته، ولكني سرعان ما أودع كل هذا، فلا يبقى بعد هذه المحاريب إلا محراب واحد، محراب الحب يقبل عليه العارف بأسراره، المهتدي إلى بابه، المشتاق إلى أعتابه.

أنت يا روما عالم! ولكن العالم بغير الحب لا يكون عالمًا، وروما لا تكون روما»[1].

(2)

الزوجة الإيطالية:

يصعد عبد الرحمن صدقي إلى الروح على درج من لغة الفن والثقافة، ويرى أن الفتنة في المرأة، روح قبل كل شيء «فهي أقل مثولاً في جمال الطلعة واعتدال القوام منها فيما يشع في العينين وفي القوام كله من لطف الشعور المهذب، وذكاء الذهن المثقف، وسبحات الخيال الحر الطليق...»[2].

(1) الشرق والإسلام في أدب جوته، ص55 – 56.
(2) اعترافات شاعر (2): صدقي. الهلال – أكتوبر 1970.

ومع هذا، فقد آمن زمنًا إيمانًا قويًّا بمقولة الفيلسوف الألماني شوبنهور «النساء جنس غير فني» ودلل بشواهد الواقع والتاريخ على أن نصيب المرأة من النبوغ في الفنون والآداب – فيما عدا فنون التمثيل – ضئيل خافت قليل الذيوع وغير صادر عن طبع[1]، كما اعتبر زواج المتزوجين من رجال الفكر قضاء وقدرًا لا يغير من الحقيقة، كمن وقع عليه حائط أو وقع على كنز[2].

وقد تزوج صدقي من الغادة الإيطالية «ماري كانيلا» التي فتنته باطلاعها في اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية مع بعض الإلمام بالعربية – وبثقافتها العميقة وذوقها الجماليّ الرفيع، ونزعتها المثالية، وكانت حياته معها – كذلك – مثالية، فلم تفتر وقدة الحب بينهما بعد الزواج، ولم يكدر صفوها شيء من ملال، تعرف متى تتكلم، ومتى تصمت، تبادله الأفكار، ولا تقطع عليه أبدًا قراءاته، شغوفة بالقراءة والاطلاع، حريصة على العناية بكل شؤونه، ولأن للحياة وجهًا آخر، فلم تشأ الأقدار لهذه الحياة الزوجية، أن تدوم غير سنوات قليلة (1940 – 1945) فتوفيت الزوجة الشابة، وأحدثت هذه الفاجعة انفجارًا شعريًّا هائلًا، أثمر ديوانًا ضخمًا، هو أضخم ديوان في رثاء الزوجة في الشعر العربي حتى النصف الأول من القرن العشرين، سماه صدقي «من وحي المرأة» وقد ظلت هذه التجربة حية في نفس الشاعر، وظل صداها يتردد في ديوانه الثاني «حواء والشاعر»[3].

كانت جذوة الحزن التي اتقدت في نفس صدقي عاصفة عاتية، سمَتْ به إلى أرفع معاني الألم الإنسانيّ، وقمة المفارقة المريرة، وجاء التعبير عنها شعرًا صادقًا،

(1) النساء جنس غير فني: صدقي. الهلال – نوفمبر 1935.
(2) مجلة «الاثنين والدنيا» 1934/3/7.
(3) صدر «من وحي المرأة» في طبعته الأولى عام 1945، وصدر «حواء والشاعر» في طبعته الوحيدة عام 1962.

يترجم لحياتهما الزوجية ترجمة أمينة، بمفرداتها وشياتها جميعًا، ويمكن الوقوف على هذه الحياة من البداية للنهاية، وكأننا نطالعها من خلال شريط «سينما»؛ حيث تتابع المشاهد وتلاحمها، أو الارتداد قليلًا إلى الوراء، أو الانفلات نحو زاوية من الزوايا، أو الإحساس بمؤثرات الصوت والحركة والضوء.

أما أبرز ما يمكن التماسه – من هذا الشريط المصور – فهو صورة الزوجة/ الأوروبية/ القارئة/ المثقفة، وهي أكثر الصور إلحاحًا على الشاعر في ديوانه الأول، فقد تعارفا عن طريق الكتب، وكانت الكتب «الظل الثالث» في قصتهما، وأدت دورًا خطيرًا في وصل هذين الحبيبين، وفي حياتهما الزوجية القصيرة.

جاور الشاعر أسرة إيطالية مكونة من أرملة وفتاتين، ووضح له بعد التعارف، أنها أسرة تهتم بالثقافة وتقدر المثقفين، كما آنس في نفسه اهتمامًا بأن يقرئ الصغرى ما يقرأ، ووجد منها مثل هذا، فتبادلوا الكتب واتفقا في عادة التأشير تحت الأفكار التي تروق لهما، وعند هذه الإشارة التقى فكره بفكرها، وعند ذلك التعقيب تجاذبت روحه مع روحها، فكان التكاشف والتآلف وبدء العلاقة العاطفية:

وأنـــكِ قـد طـالـعـتِ أسـفـار مكتبي
إذا لـــكِ فـيـهـا حـيـث وقَّـفْـتُ مـوقـفُ
نـــظـــرتِ إشـــاراتـــي هـنـا وهـــا هـنـا
تحـــدّثُ عـن أغـــوار نـفـسـي وتـكـشـف
لـــدى كـــل تـعـقـيـبٍ وكـــل إشـــارةٍ
تـصـافـح روحـــانـــا فـكـان الـتـعـرّف

لقد شغفها حبًّا، ولم يكن في غنى قارون ولا جمال يوسف، وإنما أحبت فيه الإنسان الفنان والشاعر المثقف:

فـخـورٌ عـلـى الـدنـيـا بـأنـكِ زوجـتـي

ومـا أنـا قـارونٌ ولا أنـا يـوسـفُ

تـصـبّـاكِ مـنـي مـا يُـخـيِّـب ذا الـهـوى

وَيـزْوي قـلـوبَ الـغـانـيـات ويُـصـدف

تـصـبّـاك أنـي ذو حـديـثٍ وأنـه

عـلـومٌ وفـنٌ لا مـجـونٌ وزخـرف[1]

وتميّزت عن لِدَاتها فلم يخدعها زخرف زائف، أو قشور حائلة، وإنما صرفت همها نحو الجوهر واللباب، لذا لم تكن مجرد أنثى جميلة أو فتاة مثقفة، بل مزاج فريد من جلال وجمال:

رأيـتُ الـغـوانـي وهـي لـهـوٌ ومـظـهـرٌ

وأنـتِ مـزاجٌ مـن جـمـيـلٍ وكـامـلِ

ورقـةِ إحـسـاسٍ وعـفّـةِ نـظـرةٍ

ولـفـظٍ وتـفـكـيـرٍ وحَـفْـلِ فضائل[2]

«حفل الفضائل» هذا جعل الشاعر العزوف عن الزواج يولي ظهره للعزوبة، ويفكر في الزواج، وكان العزاء عن فقد الوحدة المحببة إلى نفسه، أنه وفق إلى اختيار رفيقة الحياة التي لا يضطر أن يحط من مستواه الفكري كي يلتقي معها في صعيد واحد، بل يحدوه مجلسها إلى حفز قواه الفكرية، وإطلاق ملكاته الفنية.

وعاشا معًا حياة سعيدة موفقة، في بيت تظلله السكينة والمودة، وتتجاوب في جنباته أصوات: الرضا والعطف والدرس والموسيقى، وتنعم أجواؤه باللمسة

(1) من وحي المرأة ص181 – 182 وقصيدة: الفردوس المفقود.
(2) من وحي المرأة، ص27 – 28 قصيدة بعد أيام.

الحانية والبسمة الوادعة، وهذا ما تكشف عنه قصائده، فتزدحم بالمواقف المشتركة وتتراءى الصور الحيوية التي يلتقطها الشاعر في براعة وصدق، حتى يصل إلى اللحظة الفارقة، لحظة النهاية لهذه الحياة القصيرة، فنجد أنفسنا أكثر حزنًا وحيرة من الشاعر أمام فعل القدر وهو الفاجعة «فهذه أشعار يحسها الإنسان ويتذوقها ويشارك صاحبه في شعوره، إنها ليست كلامًا منظومًا بل إحساسًا مرسلًا، فاض عن نفس صاحبه كأنه إيماض زند أوراه مس عنيف طارئ»[1].

ويستعيد هذا المشهد الإنساني للزوجة الرقيقة العطوف، وهي تطعم الأطيار الصداحة من فتات الخبز، وقد ألفت منها هذه العادة، فأقبلت في موعدها اليومي فلم تجد في الحمى/ البيت سوى الزوج الثاكل رهن الوحدة الموحشة:

وأسمعُ للأطيار تَزْقو كما زَقَتْ
وللوُرْق تُزجي سَجْعةً بعد سجْعةِ
فأين فُتاتُ الخبز تُلقينه لها
فَينْقُرْن منها حبّةً إثر حبّة
عَرَفْنَ أوانَ الأكل فهي كعهدها
تَراءَى صُفوفًا فوق سُورٍ وأَيْكة
تَأَلّفْتِها يا إلْفَ قلبي وأنْسَه
فما ليَ في هذا الحمى نهْبَ وحشة![2]

وهما حبيبان اتخذا بين الكتب عش غرامهما، واستغرقا في هذا العيش، فتضاعف إحساسهما بالحياة؛ إذ كانا يقرآن الفن بالعقل والعلم بالقلب:

---

(1) المصدر السابق، ص134 (مقالة الدكتور حسين مؤنس).
(2) المصدر السابق، ص 55 – 56 زقا الطائر: صاح، يزجي: يرسل.

نـضـاعـفُ بـالـكـتـب الحـيـاة، فـحـظُّـنـا

مـن الحـسِّ والـتـفـكـيـر حـظٌّ مـضـعّـفُ

ونـعـرِض لـلـعـقـل الـفـنـونَ فـتـنـجـلي

ونـــدرس بـالـقـلـب الـعـلـومَ فـتـلْـطِـفِ

نمـارسُ هـذا الـعـيـشَ بـالـقـلـب والحِـجـى

مـعًـا، مـثـلـمـا طـابـت عـلـى المـزْج قَـرْقَـف

حـبـيـبـان بـيـن الـكـتـب عـشٌّ غـرامـنـا

نـديمـان فـي حـضـن الـهـوى نتفلْسَف[1]

وفي قصيدة «دنيا ودنيا» يعقد الشاعر مقارنة بين دنيا الغواني الفاتنة وزوجته، وينتصر للثانية «فكل الذي فيكن فيها» وفوق ذلك «فيها أصالة» و«سبحات روح» و«عقل رزان والخيال وثوب» والأروع أن هذا جميعه تكنفه بالحب والعطف وأصبح منه «زوجة وحبيب» فبأي منجل قاس حصد الموت فتون هذا العالم:

ومـا كـان غـيـرَ الحـب والـكُـتْـبِ عـالـمٌ

لـنـا حـافـلٌ بـالمـغـريـات خـصـيـبُ

فـيـا ويـحَ هـذا المـوت أودى بـعـالمي

فـكـلُّ عـطـاءٍ بـعـد ذاك سليب[2]

وتمثل قصيدة «الموسيقى» - كتبت بعد انقضاء عامين على وفاة زوجه - نموذجًا دالًا على المفارقة التي تقوم على المقابلة بين وضعين متناقضين، وفيها يصور الشاعر ما كانت عليه حاله مع الموسيقى قبل الفجيعة (أي في الماضي) وما

(1) المصدر السابق، ص 182 - 183 «الفرودوس المفقود» . القرقف: من أسماء الخمر
(2) من وحي المرأة ، ص105 - 106.

أصبحت عليه هذه الحال بعد الفجيعة (أي في الحاضر) وهو يقرر التناقض بين الحالين منذ البدء:

يـا قـلـبُ، شـأنُـكَ والـسَّـمـاع عـجـيـبُ

جـانـبـتَ مـجـلـسَـه وكـــان يـطـيـبُ

ثم يقول:

كـم شـاقـكَ الـنـغـمُ الـبـديـع كـأنـه

رَجْـــعٌ لأفـــلاك الـفـضـاء مـجـيـبُ

يـعـلـو بـهـمـكَ سـاعـةً فـوق الـدُّنـا

تـــرتـــادُ جـــنّـــاتِ الـعـلا وتجـوب

فـالـيـوم مـالـكَ لـيس يـعـزف عـازفٌ

- يـا قـلـبُ - إلا هـاج مـنـكَ وجيب

لا تـسـتـخـفُّـكَ نـغـمـةٌ مـحـبـورةٌ

نـشـوى بـأفـراح الحـيـاة صَـخـوب

إلا ذكـــرتَ شـريـكَ أُنـسـكَ فـي الـثـرى

فـغَـصـصْـتَ، يـعـصِـرُك الأسـى وتـذوب

وزفـــرْتَ زَفْـــرًا كـالـشـواظ مـن الـلظى

وشَـرِقْـتَ بـالـعـبـرات وهْـي صبيب[1]

لقد كانت الموسيقى أثيرة ومحببة إلى نفسه وكأنها صوت الطبيعة الحي، الذي «يعلو بهمك فوق الدنا» لكنها «اليوم» استحالت إلى شيء آخر، مثيرة للأحزان، وباعثة على الذكرى الأليمة، بل عند «السماع» يعصره الأسى ويذوب، ويشرق «بالعبرات وهي صبيب».

(1) من وحي المرأة ، ص208.

إن الشاعر يترجم – من خلال الشعر – القطعة الموسيقية الواحدة إلى ترجمتين متقابلتين: الأولى إيقاعها البهجة والهناء، والثانية إيقاعها الشجى والبكاء. والترجمة الأولى استغرقت بيتين والثانية استغرقت أربعة أبيات، وكأنها مقابلة أخرى بين الزمان السعيد القصير، والزمان الحزين الطويل.

كانت السنوات الأربع التي قضاها الشاعر زوجًا أخصب فترات حياته تأليفًا وإخراجًا للكتب، وكان من عاداته «كلما نشر كتابًا أن يهدي إلى زوجته الشابة الأديبة نسخة مجلدة عليها كلمة إهداء خاصة منه لها، وإنه لا يزال بعد موتها على نية المضي فيما جرت به عادته»[1]. ويذكرها عند سماعه لحن شوبير «السلام يا مريم» لتشابه الأسماء، وهنا يبكي الشاعر لموسيقاها الشجية وهي تدوي في أذنيه وتتعالى في حلاوتها رائعة غالبة[2]. ولمدينة «فلورنسا» الإيطالية إعجاب خاص وانطباع آخر عند زيارة صدقي لها، فهي موطن الزوجة الأصلي وفيها عاش أجدادها، وهي التي كانت سببًا في تحقيق الحلم – ولو برهة – لذا كان إليها الحج والمقصد، مع كل ما يستدعيه الفعل «أحج» من شعائر وطقوس وأجواء:

وقالوا «فلورنسا!» فأُذْكرت زوجتي
وثُبْتُ إلى حالي وسرِّ طروقي
أحُجُّ لأرضٍ حقّقتْ حلمَ مهجتي
وأنْسَ حياتي، بُرهةً، ورفيقي
منابتُ أهلِيها فلا بدْعَ ضُوعِفَتْ
على طيبها طيبًا بقلبِ صديق[3]

(1) المصدر السابق ، ص112 – 113 «الكتاب الأخير».
(2) المصدر السابق، ص121 – 123 «السلام يا مريم».
(3) السابق، ص268 «فلورنسا».

لقد تميزت تجربة صدقي في رثاء الزوجة عن غيرها من التجارب في الموضوع ذاته – ليس فقط بضخامتها وامتدادها الزمني – ولكن بما يمكن تسميته: رثاء الزوجة الصديقة أو الزوجة الحبيبة، التي تختلف عن رثاء الزوجة أم الأولاد، فمعظم الذين رثوا الزوجة – بدءًا من جرير قديمًا وانتهاءً بطاهر أبي فاشا، ورابح لطفي جمعة حديثًا – كانوا أصحاب أولاد، وأخذ الأولاد نصيبًا من رثاء أمهاتهم.

أما صدقي، فإنه يقول[1]:

وارتضينا من لِقانا
عِوضًا عمّا حُرمته

وإذا ارتقينا درجة، تبينت لنا ملامح تجربة عاطفية عاشها الشاعر بصدق، وظلت مختزنة طوال السنوات الأربع، إلى أن فاجأه الفقد، فجاء الشعر طبيعيًّا تلقائيًّا، يحمل حرارة التجربة «وطزاجتها»، كما يحمل ملامحها الحقيقية، ملامح تجربة الحب.

(3)

هذه المختارات:

على مستوى الأداء الفني، عرف الشاعر عبد الرحمن صدقي بانتمائه إلى الاتجاه الديواني، الذي راده الشعراء عبد الرحمن شكري وعباس العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، والأخير كان أستاذه في الترجمة في المدرسة الخديوية، والحق أن صدقي كان من أنبه شعراء هذا الاتجاه، وكان نسيجًا وحده بلغته الشعرية التي تتسم بالقوة والفخامة، وببصماتها التعبيرية الخاصة، وما التزم فيها من صدق، كصدق الاعتراف، وبحضور الفكر والخيال في اتساق واضح مع الوجدان، وبمراثيه

(1) السابق، ص17 «الصرخة الأولى».

البديعة التي هيمنت على تجربته الشعرية، واختصت بها شخصية واحدة هي زوجه الإيطالية الأصل، المصرية المولد والنشأة، ثم برقي ثقافته، وتعمقها في ذخائر الفنون والآداب، وتعدد مواهبه وملكاته في الأدب والترجمة والصحافة والإدارة الثقافية.

وهذه المختارات من وحي صلته بإيطاليا، ذلك البلد الذي كانت تربطه به أوثق الصلات، من خلال إتقانه للغة الإيطالية، ومن خلال عمله مديرًا لدار الأوبرا الملكية المصرية، واستقدامه لأهم الفرق المسرحية الإيطالية، لتقدّم أرقى العروض الفنية، ومن خلال زواجه بالسيدة الإيطالية ماري كانيلا، والتي توفيت في العام 1945، فأصدر في العام نفسه ديوانًا كاملًا في رثائها.، وقد اخترت قصائد هذا الكتاب – واستلهمت عنوانه – من ديوانيه «من وحي المرأة» الصادر في طبعتين لاحقتين للطبعة الأولى، في1949، وفي1965، وتم اعتماد الطبعة الأخيرة الصادرة عن الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، مصدرًا رئيسًا لقصائده، ثم ديوان «حواء والشاعر» الذي صدر عن دار المعارف المصرية في العام 1962.

وقد راعيت – في هذا العمل – الخطوات التالية:

- توزيع القصائد المختارة على قسمين قصائد الرحلة إلى إيطاليا (ويحتوي على تسع قصائد)، ومراثي الزوجة الإيطالية «ماري كانيلا» (ويحتوي على أربع عشرة قصيدة).
- إثبات كل قصيدة من القصائد المختارة كاملة؛ ليتسنى للقارئ الوقوف على مسار التجربة ومستويات الشعور فيها، دون تدخل باجتزاء، يخل ببناء النص الشعري.
- توثيق النصوص الشعرية، كلما أمكن ذلك، من خلال نشراتها الأولى في الدوريات الثقافية، وهي خطوة ذات دلالة ثقافية مهمة.

- تحديد البحور الشعرية للقصائد، وتذييل العناوين بها.
- الإبقاء على الهوامش الشارحة، والإشارات التوضيحية التي حرص الشاعر على وجودها في كثير من قصائده، مع إضافة هوامش جديدة، وتعليقات توضح مناسبة، أو معنى كلمة صعبة، أو استخدام لغوي لافت، وقد ميزت إضافاتي بالحرف (م).

وهكذا، تنعكس في مرآة هذه المختارات الشعرية، صورة عالية القدر لهذا البلد الأوروبي العريق (إيطاليا)، تتّسم ببعدها الأحاديّ حين تنأى عن تمثيل البعد السلبي، وقد تأسست هذه الصورة في شعر عبد الرحمن صدقي على ركيزتين بارزتين: المعرفة، والتفاعل الإنساني؛ فصوّر، واستدعى، واستنطق الآثار، وانفعل بمشاهد الطبيعة، ومع هذا كله، لم يغفل عن ذاته وآلامها، ولم يغب عنه أبدًا طيف زوجته، تلك الإيطالية الحسناء ماري كانيلا، بل ظلت رفيق خطواته، وأنيس جولاته، كما كانت تمامًا قبل رحيلها الفاجع.

وتأتي أشعار صدقي؛ لتمثل في حقيقتها جسرًا حضاريًّا من طراز رفيع، يصل الذات بالآخر، والعربي بالإيطالي؛ بل والشرقي بالغربي، وهل هنالك ما هو أرفع قدرًا، وأكثر صفاء من فن الشعر؟ حين يرى الناظر – في مرآة الشعر الشفيفة – الآخرَ بأبعاده وتجلياته الحضارية والإنسانية، ويبصر الدلالات وسيعة عميقة، والبعيد من التفاصيل ظاهرًا قريبًا.

د. إيهاب النجدي

الكويت 2018/2/25

****

الشاعر في سطور

الحياة العلمية والعملية:

- عبد الرحمن محمد عثمان صدقي (1896 - 1973).
- ولد في مدينة المنصورة (عاصمة محافظة الدقهلية - شرقي الدلتا المصرية)، وتوفي في القاهرة.
- بدأ مراحل تعليمه في القاهرة؛ إذ انتسب إلى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بدرب الجماميز، ثم التحق بالخديوية الثانوية فحصل على البكالوريا من القسم الأدبي عام 1916، ثم انتسب إلى مدرسة الحقوق الفرنسية (القسم المسائي)، ولكنه لم يكمل دراسته بها، وآثر الوظيفة والأدب.
- عمل محررًا بمجلة «السفور» 1920 التي كان يصدرها عبد الحميد حمدي، ثم عين بوزارة المعارف (مراقبة الامتحانات)، وبعد مدة نقل إلى «إدارة الفنون الجميلة» ليعمل مع طه حسين إلى عام 1935، وانتقل بعدها إلى العمل في «دار الأوبرا الملكية» - سكرتيرًا، فوكيلًا، ثم مديرًا عامًا إلى أن أحيل إلى المعاش عام 1956.
- عمل مديرًا لمصلحة الفنون بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، وأستاذًا لأدب المسرح بالمعهد العالي للفنون المسرحية، ومستشارًا فنيًّا للتلفزيون العربي (المصري) عند إنشائه سنة 1960.

- كان عضو لجنة الشعر، ولجنة المسرح بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وعضوًا مراسلًا لجماعة أسبوع الشعر العالمي بواشنطن، وعضوًا بجمعية الشعراء.

- اشترك في مؤتمر المسرح الدولي بباريس، كما كان مندوب دار الأوبرا لأكثر من عشر سنوات إلى إيطاليا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا وأمريكا لاستقدام الفرق الفنية لمواسم الأوبرا.

- كان يجيد الإنجليزية والفرنسية والإيطالية.

إنتاجه الشعري:

- صدر له: ديوان: «من وحي المرأة» - (ط1): دار المعارف - القاهرة 1945 - (ط3): الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة 1965.

- وديوان «حواء والشاعر» - دار المعارف - القاهرة 1962.

- وله عدد من القصائد والمقطوعات التي نشرت في الدوريات المختلفة، قمتُ بجمعها وتحقيقها مع ديوانه الكامل، وهي تحت الطبع.

الأعمال الأخرى:

كتب عددًا من الدراسات الأدبية:

- «الشاعر الرجيم: بودلير»، سلسلة اقرأ - دار المعارف بمصر 1943.

- «ألوان من الحب، في الأساطير، في التاريخ، في القصص العالمي»، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر 1944.

- «أبونواس، قصة حياته في جده وهزله»، سلسلة أعلام الإسلام، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة 1944.

- «ألحان ألحان، أبو نواس في حياته اللاهية»، دار المعارف بمصر 1947.
- «الشرق والإسلام في أدب جوته»، المكتبة الثقافية، دار القلم - القاهرة 1960.
- «طاغور والمسرح الهندي، الغنائي الرومانتيكي الرمزي»، سلسلة كتب ثقافية، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة 1962.
- «المسرح في العصور الوسطى، الديني والهزلي»، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1969.
- قدّم لكتاب «ليالي سطيح» لحافظ إبراهيم بمقدمة مطولة، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة 1964.
- كان الفائز الثالث في مسابقة النشيد القومي عام 1920.
- حصل على جائزة مجمع اللغة العربية عن ديوانه الأول عام 1952.
- حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الصور والتراجم عن كتابه: «الشرق والإسلام في أدب جوته» عام 1960.
- من الشعراء القلائل الذين خصوا رثاء زوجاتهم بديوان من الشعر «من وحي المرأة»، ومنهم خليل السكاكيني، وعزيز أباظة، وعبد الرحمن الخميسي، ومحمد رجب البيومي، وطاهر أبو فاشا[1].

****

(1) للمزيد عن حياته وشعره، يراجع:
- إيهاب النجدي: شعر عبد الرحمن صدقي، دراسة فنية، رسالة ماجستير - كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1997.
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، الكويت 2008، ص 684 - 688.

صورة عبد الرحمن صدقي بريشة صديقه الفنان أحمد صبري

المختارات

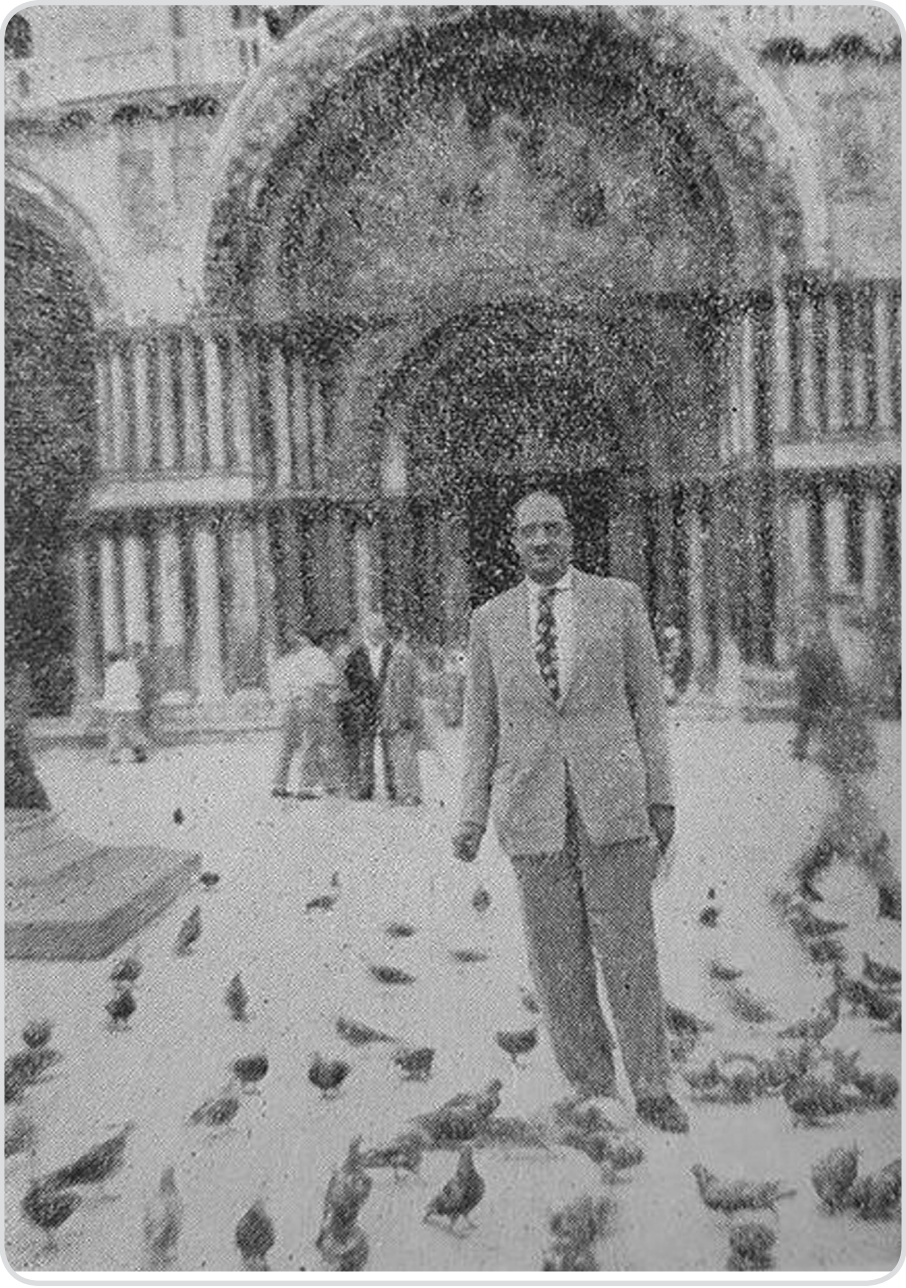

صدقي في الساحة الصغرى بالبندقية

أولًا: قصائد الرحلة إلى إيطاليا

قبل السفر[1]

وقفة على القبر[2]

[من الطويل]

دعـــــاءَكِ إنـــي لـلـدعـاءِ لَـسـائـلُ

دعـــــاءَكِ أَضـعـافًـا فـإنـيَ راحـلُ

تـعـودتُ هـذا مـنـكِ فـي كـل خـطـوةٍ

فـكـيـف وسَـيْـرِي مُـبْـعِـدٌ مـتـطـاول

وأَحْـــــوجُ حَـــيٍّ لـلـدعـاءِ مُـغَـرِّبٌ

وحـيـدٌ، كـسـيـرُ الـقـلـب، أَرمـــلُ ثـاكـل

دعـــاءك أَبـغـيـه وإِن كـنـتِ مَـيْـتَـةً

رهـيـنـةَ رمـــسٍ غـيـرَ أَنـــيَ آمِـل

دعـاؤك يـا زوجـي الحبيبة فـي الـثرى

أَحـــسّ بـه يـغـزو الـثـرى ويـحـاول

يُـصَـعِّـد مِـن تحـت الجـنـادل عـارمًـا

قَـــويَّ الـصـدى تَـنْـقـدُّ مـنـهُ الجـنـادل

ومـا أَبـتـغـي مـنـكِ الـدعـاءَ لـطِـائـلٍ

فـمـا لـدعـاءٍ بـعـد فَـقْـدِيـكِ طـائـل

---

(1) الكاتب المصري – مايو 1947.

(2) عبارة مزيدة على نشرة الكاتب المصري.

ولـكـنـنـي عُـــــوِّدتُ مـنـك شـمـائـلا

ومـــا زلـــتُ تحـدونـي إِلـيـك الـشـمـائـل

بـرغـمـيَ أَنْ تَـبْـقَـيْ بـأَرضـــي، وأَنـنـي

لأَرضـــــكِ وحـــدي نـحـو قـومـكِ راحـل

✶✶✶✶

الليلة الأُولى على البحر[1]

[من الطويل]

وحـيـدٌ عـلـى ظـهـر الـسـفـيـنـة سـاهـرُ
وقـد لجَّـجَـتْ فـي الـغَـمْـر، والـلـيـلُ غامرُ[2]
عـلـيَّ ومِـــن حـــولـــيَّ لـيـلٌ مُـخَـيِّـمٌ
وتحـتـي مـن الأَمـــواج لـيـلٌ مُـسـايـر
وفـي الـنـفـس لـيـلٌ لـيـس يُـلْـفَـى نـظـيـرُه
أَلا شَـدَّ مـا انـثـالـت عـلـيَّ الدياجر[3]
غـريـقٌ حـوتـنـي ظـلـمـةٌ طـيَّ ظـلـمـةٍ
كـأنّـي إِلـى الـغـيـب الـسـحـيـق مسافر
إِلـى عـالـم الأَشـبـاح لا أُنـسَ عـنـده
لحَـيٍّ، فـمـا لـي الآن قـلـبـيَ صـابـر!
لـقـد طـاف بـي ذِكـرى الـتـي قـد عدِمتُها
شـريـكـةُ عـيـشـي غـيَّـبـتْـهـا الـمـقـابـر
فـطـاب لـنـفـسـي عـنـد ذلـك وَهْـمُـهـا
بـأَنـي إِلـى حـيـثُ الحـبـيـبـة صـائـر
ورانـــت عـلـى حـسِّـي المـعـذَّب فَـتْـرَةٌ
وأُنـسـيـتُ أنـي مُـضْـرَم الـصـدر واغر[4]

---

(1) الكاتب المصري – أكتوبر 1947.
(2) لججت السفينة في الغمر، أي: خاضت اللجة في عرض البحر.
(3) انثالت عليه: انصبت عليه من كل وجه.
(4) رانت عليه: غلبت عليه. وفترة الحس: فتوره. واغر: متوقد من الغيظ.

وسُـكِّـنْـتُ حـتـى مـا أُحـــرّكُ سـاكـنًـا
وخُـــــدِّرتُ حـتـى لـيـس يـهـمـس خـاطـر
وأُذهـلـتُ عـن «كـونـي الـصـغـيـر» بـأَسـرِهِ
طــواه مــن الأَكـــوان أَرْوَعُ كابر[1]

☆☆☆☆

ومـــرّت هـنـيـهـاتٌ طـــوالٌ قـصـيـرةٌ
فـمـا لـي بـهـا عـلـمٌ ولا أَنـــا ذاكـر
فـلـمَّـا أَطـــلَّ الـبـدر وانـســاح نُـورُه
عـلـى الـبـحـر فـاخـتـالـت عـلـيـه المـنـاظـر
تَـنَـبَّـهَـتِ الأَحـــلامُ فـي الـنـفـس بَـغْـتَـةً
وهـبَّـت خِـفـافًـا مـن كَـراهـا الخواطر[2]
وخُـــيِّـــلَ لـــي أَنـــي عـلـيـه وزوجـتـي
وقُـــوفًـــا نـنـاجـي مـــوجَـــه ونُـــحـــاور
وقـوفًـا كـعَـهْـدَيْـنَـا عـلـى الـنـيـل طـامـيًـا
يُـــلأْلِـــئُ فـي الـقَـمْـراء والـلـجُّ زاخـر
فـلا غَـرْو أَن أَرنـــو إِلـــى الـبـحـر هاهنا
وزوْجـــيَ مـسـحـورَيْـن، والحـسـنُ ساحر
نُـراعـيـه مِـــلءَ الـنـاظـرَيْـن ومـوجُـه
مـن الـبـدر فِـضـيٌّ الحـبـائـك باهر[3]
عـلـيـه كـمـثـل الـراقـصـات مُـفَـضَّـضٌ
مـن الـوَشْـي خـفَّـاقُ الـذلاذل دائـر[4]

---

(1) كابر: كبير. وفي البيت إشارة إلى نعت الإنسان بالكون الصغير بالقياس إلى الكون الكبير.
(2) من كراها: من نومها.
(3) حبائك الماء: طرائقه والغضون على صفحته.
(4) الذلاذل: جمع ذلذل وهو أسفل الثوب.

يـضـجُّ حـشـاه راقـصًـا مـتـرنمًـا
كـأَن حـشـاه بـالـعـرائـس عـامـر
تُـراقِـصُ كـلُّ أَخـتَـهـا فـي عُـبـابـه
وقـد رُفـعـت فـي رقـصـهـنَّ العقائر[1]
فـيطغى عـلـى قـلـبي الـسـرور مُضاعفًا
فـقـلـبيَ مـن فَـرْطِ الـسـرور مُعاقِرِ[2]
ويـبـلـغ أُنـسـي بـالحـيـاة مَـبـالـغًـا
فـؤاديَ عـنـهـا مـنـذُ أَرْمـلـتُ قـاصـر
لـقـد غَـبَّـنـي حـتـى نـسـيـت مَـذاقَـه
وأَنـكـرهُ مـنّـي عـلـى الـكـرْه ناكرُ[3]
فـثُبْتُ إلـى نفسي عـلـى الـفُـلْك مُسْـهَـدًا
وحـيـدًا فـقـد طـاحـت بـزوجـي المـقـادر
وعـاودنـي وَجْـدي وشَـدّ مُـخَـنَّـقـي
وغـامـت عـلـى عـيـنـي الـدمـوعُ الـبـوادر
وأُذهـلـتُ عـمَّـا بـين سـمـعـي ونـاظـري
كـأَنْ لـيـس لـي سـمـعٌ ولا لِـيَ نـاظـر

****

(1) رفع عقيرته: أي صوته.
(2) المعاقر، المدمن شرب الخمر.
(3) غبه: انقطع عنه زمنًا.

ميناء نابولي[1]

[من الطويل]

صحوتُ على التهليل والهاتفِ العالي:
هنا نابلي في الأُفْق تختال كالآلِ ![2]
فما صَكَّ تهليلٌ بأَرضكِ مِسْمَعي
على غفلةٍ حتى وثبتِ إِلى بالي[3]
وثرتُ إِلى ظهر السفينة مُعْجَلا
كأَني هنا لاقِيك من بعد أَجيال
يصافح عيني الماءُ أَزرقَ صافيًا
وقد شابَهُ وَرْدُ الصباح بِجريال[4]
ولاح بأَقصى الأُفْق «فيزوفُ» داخنًا
كظيمَ اللظى يطوي كوامنَ أَهوال
صهيرَ الحشى جهم الجناب محمَّمًا
يحدّث عن حالي ومضمر بلبالي[5]
وقامت بقَيْدِ العين أَهضابُ جَنةٍ
مُدارٌ على الميناء مَشْرَفُها العالي
قد انْتَظَمَتْها في جلالٍ ورقَّةٍ
نظامَ سُموط الدرِّ في جِيد مِكْسال[6]

(1) مجلة الكتاب –نوفمبر 1947.
سبق العنوان بهذا التقديم: «سافر الشاعر بعد عام من صدور ديوانه «من وحي المرأة إلى ربوع أوروبا، وقد عاد بقصائد في وصف رحلته بإيطاليا، وهذه إحداها يصف وصوله إلى ميناء نابولي»(م).
(2) الآل: السراب.
(3) صك: طرق.
(4) الجريال: النبيذ الأحمر اللون.
(5) صهير: مصهور. محمم: مسود، والحمم الفحم وكل ما احترق بالنار.
(6) سموط جمع سمط: الخيط ما دام اللؤلؤ منتظمًا فيه. والبيت موصول بالذي بعده.

مَـغـانٍ كـشُـرْفـات الجـنـان تمـثَّـلـتْ
لـنـاظـرنـا مـا بـين مـاءٍ وأَظـلال
وأَبـراجُ بـيـعـاتٍ ودورٌ مُـنـيـفـةٌ
وأَسـوارُ آطـامٍ وأَمـجـادُ أَطـلال[1]
تُـطِـلُّ علَـينـا مـن عَـلٍ فـي صـعـودهـا
قِـبـابٌ وأَنـصـابٌ مـن المَـرْمـر الـغـالـي
ممَـرّدةُ الـبُـنْـيـان زاهٍ صِـبـاغُـهـا
تَـوَهَّـجُ تحت الشمس كالنار للصالي
رَكِـبْـنَ الـروابـي بـدعـةً فـوق بـدعـةٍ
فـتـمَّ بـهـا لـلـحـسـن أَبـدعُ تمـثـال

☆☆☆☆

وأَلـقـتْ مَـراسِـيـهـا الـسـفـيـنـةُ ضَـحْـوَةً
فـأَسـلـمـتُ ظـهـرَ الأَرض أَقـدامَ جَـوّال
أَجـوسُ ديـارَ الـفـن دَهْـشـانَ مُـعْـجَـبًـا
وأَمـشـي كـأَهـل الـفـن مِـشْـيـةَ مـخـتـال
إِلـى أَن وَنَـتْ شـمـسُ الـنـهـار ورَنَّـقَـتْ
وأَلـقـتْ عـلـى الآفـاق صُـفْـرةَ آصـال[2]
فـمِـلْـتُ إِلـى خـانٍ أُواكـل أَهـلَـه
وأَنْـقَـع مـن مَـشْـروبـهـم حـرَّ أَوصالي[3]
وقـام مُـغَـنِّـيـهـم يـغـنـي شـرابَـهـم
عـلـى مِـعْـزَفٍ مُـسْـتـكـمـل الـنـطـق قـوّال

(1) البيعة: المعبد للنصارى. الآطام: الحصون.
(2) ونت: تعبت وكلت. رنقت: ضعفت وانكسر شعاعها وغشيتها فترة النوم. آصال: جمع أصيل وهو وقت غروب الشمس.
(3) خان: فندق للمبيت والطعام. ينقع: يروي العطش.

يـغـنّـي أَغـانـيـهـم حِـــــرارًا شـجّـيـةً
بـنَـغْـمٍ شـديـد الـوَقْـع فـي الـقـلـب فـعّـال
يـلـــذّ لأَســـمـــاع الخـلـــيِّـــينَ وقـعُـه
ولـكـنَّـه عـنـد الـشَّـجِـي جـــدُّ قـتَّـال
تـوالـى عـلـى سـمـعـي، وأَفـضـى لـمـهـجـتـي
وفَـــضَّ مـغـالـيـقـي وحـطَّـم أَقـفـالـي
فـهـبَّـتْ مـن الأَعـمـــاق هُـوجًـا عـنـيـفـةً
بـراكـينُ أَشـجـانـي فـزَلْـزَلْـن زلـزالـي
وثـــارت إِلـــى عـيـنـي الـدمـــوعُ سـخـيـنـةً
وهـزَّ كِـيـانـي الـنَّـشْـجُ واشـتـدَّ إِعوالي[1]
إِذا بـي وأَهـــل الخـــان حـولـي، رحـمـةً
وعـطـفًـا، وَلَّـــا يـسـأَلـوا كُـنْـه أَحـوالـي
وقـد راعـهـم كـأسـي وخـبـزي ومَـطْـعـمـي
مـبـلَّـلـةً مـن واكـــفِ الـدمـــع هـطَّـال
وجـــاءَوا مُـغـنِّـيـهـم، فـأَجْـمَـلَ شـدوَه
وقـد أَدركـــوا مـأَســاة عـمـري بـإِجـمـال
لقد أَدركـوا - يـا لحـنَ عـمـريَ - أنني
طـروبٌ إِلـى لحـنـي، فـلا لحـنَ يـهـنا لي[2]
وأَنَّ لحـــون الحـــب مُـــذْكِـــرَتـــي بـه
تـهـيـجُ لـه شـوقـي فـيـــزداد بَـلـبـالـي
ولـيـس كـأَهـلِ الـفـن مَـن يَـقْـدُر الأَسـى
ويَـدري خِـصـالَ الحـب حـالًا عـلـى حـال

****

(1) النشج من نشج الباكي: غص بالبكاء من غير انتحاب، بعكس الإعوال: رفع الصوت بالبكاء والصياح.
(2) خفف همزة في «يهنأ» فصارت «يهنا» (م).

المدينة الخالدة[1]

[من الطويل]

سـلامٌ علـى رومـا عـروسِ الحـواضـرِ
بمـا ورِثـتْ طـولَ الـقـرون الـغـوابـرِ
طَـوافـي هـنـا لا فـي المـكـان وإنمـا
بـجـوف زمـانٍ ذاهـبِ الـغـور داهـر[2]
هـنـا حيثمـا انْـسـاقَـتْ خُـطـاي مـعـالـمٌ
تحـدِّث عـن مـاضٍ مـن المـجـد دابـر
خـرائـبُ تَـسْـتَـعْـدي الجـلالَ علـى البلى
وتُـزْهَـى بمـطـمـوسٍ مـن الـفـن داثـر[3]
جـواثـمُ إلا أَنـهـا فـي جُـثـومـهـا
تَـنُـصُّ جبينًا مُـثْـخَـنًـا غـيـرَ صاغر[4]
بـقـايـا أَسـاطـينٍ فـرادى مُـنـيـفـةٍ
جِـلادٍ علـى الأَيـام غـيـرِ خوائر[5]
تُـطـلّ علـى الأَنـقـاض حـول نِـصـابـهـا
وكـلُّ الـعـلا فـي نِـقْـضـهـا المتناثر[6]

(1) مجلة الكاتب المصري – نوفمبر 1947.
(2) داهر: يقال دهر داهر أي: زمان لا نهاية له من الطول.
(3) تستعديه: تستعين به وتستنصره.
(4) تنص: ترفع. مثخن: كثير الجراح.
(5) الأساطين: الأعمدة.
(6) نصابها: أي قاعدتها التي تقوم عليها. النقض: الأنقاض.

لـهـا روعـــةٌ فـي الـنـفـس تُـشـعـر أَنـهـا
مـحـاريـبُ ربٍّ أَو قُـصـورُ قـيـاصـر
بـيـوتُ عـبـاداتٍ ودورُ سـيـادةٍ
بـبـابـهـمـا ذلَّـــت جـبـاهُ الجـبـابـر
لـقـد دثـــرتْ، لـم يَـحْـمِ ربٌّ بـنـاءه
فـأَهْـوَى ومـا لاقـى مُـقـيـلًا لعاثر[1]
سـوى مـعـبـدِ الأَربـــاب جَـمْـعًـا كـأَنـمـا
أَفـاد الـقـوى مـن سـرّهـا المتضافر[2]
عـظـيـمٌ مـن الـبـنـيـان كـالـطـود راسـخٌ
يـخِـفُّ مـن الـتَّـنْـسـيـق خـفَّـةَ طـائـر
لـه قـبَّـةٌ رَوْحـــاءُ يَـنـفـذ أَوْجُـهـا
إِلـى الـقـبـة الـكـبـرى بـتـدبـيـر ساحر[3]
وثـمـةَ أَلـطـافٌ وآثـــار نِـعْـمـةٍ
شـواهـدُ عـيـشٍ رافـهٍ الـظـلّ نـاضـر
وأَطـــلالُ حَـمَّـامٍ عَـفَـت عَـرَصـاتـه
وكـانـت عِـبـاقًـا بـالـطـيـوب العواطر[4]
وجَـفَّـت حـيـاضٌ فـيـه كـانـت رَوِيَّـــةً
يُـسـاق إِلـيـهـا المـاءُ فـوق القناطر[5]
كـم ازدحـمـتْ أَحـواضُـه وأريـكُـه
بـأَبـنـاءِ رومـا المـتـرفـين الـسـوادر[6]

(1) أقاله: أنهضه من سقطته.
(2) معبد الأرباب جمعًا هو البانثيون pantheon ومعناه كما تقدم «معبد جميع الآلهة». وكان بناؤه بأمر الإمبراطور الروماني أجريبا في أواخر العهد الوثني ولا يزال حتى اليوم موفور الكيان قائم الأركان.
(3) القبة الكبرى: كناية عن السماء.
(4) كثرت هذه الحمامات في عهد الأباطرة وأشهرها حمامات كارا كلا في رومة.
(5) قناطر الماء: قنوات فوق حنايا يساق عليها الماء إلى المدينة من العيون الدافقة في التلال القريبة. ويبلغ ارتفاع بعض هذه القناطر نحو مائة قدم ويزيد طولها على ستين ألف متر.
(6) الأريك: جمع أريكة وهي السرير المزين الفاخر. السوادر: جمع سادر وهو المستهتر الذي لا يبالي بما يصنع.

وثـمـــة بـــين الـــرَّبْـــوَتَـــيْـــــنِ بَـــلاقـــعٌ

هـــي الـــسُّـــوق كـــانـــت نـــدوة للتشاور[1]

ذكـرنـا عـلـيـهـا رَأيَ شَـيْـخٍ مُـحـنَّـكٍ

وقـــولَ خـطـيـبٍ ذي شَـقـاشِـقَ هـــادر[2]

وكـانـت حِـمَـى رأيٍ ومَـرْقـى بـلاغـةٍ

ورمـــزًا لحـق الـشـعـب عـنـد الأَبـاطـر

وأَجـــــداثُ أَقْـــيـــالٍ تـهـيَّـبـهـا الـبِـلـى

وسَـــبْـــيُ مِـســـلّاتٍ جـلائـبَ جائر[3]

وصِـــنْـــوٌ لأَهـــــرام الـفـراعـين يـقـتـدى

بمـصـر، ولـكـن فـي قـــوام البحاتِر[4]

وأَســـــــوارُ آطـــــامٍ وشُـــــمٍّ مـعـاقـلٍ

تَـــــدَرَّعُ لـلـعـادي بـصـبـرِ مُصابر[5]

---

(1) الربوتان: هما ربوة البالاتين، وربوة الكابتول (من التلال السبعة التي تقوم عليها مدينة روما) وكانت بينهما السوق العامة الرومانية هي مركز الحياة الاجتماعية والسياسية قديمًا. وقد استجد الأباطرة بعدها أسواقًا مثلها، وكان آخر هذه الأسواق سوق تراجان بين ربوة الكابتول وربوة الكويرينال.

(2) شقاشق جمع شِقْشِقة ثار أو أفصح في الكلام (م).

(3) نذكر من الأجداث ضريح أدريان وهو أسطواني الشكل على قاعدة مربعة وكان بناؤه بأمر الإمبراطور سنة 135 قبل الميلاد ليكون مدفنًا له ولمن يخلفه، ويعرف الضريح الآن باسم صرح سان أنجلو Castel Sant Angelo. والمسلات التي سباها الرومان هي المسلات المصرية التي نقلها أباطرتهم إلى روما، وهي قطعة واحدة من الصوان، ومنها المسلة القائمة في ميدان الشعب وارتفاعها فوق الثلاثة والعشرين مترًا، وكذلك المسلة القائمة في ميدان كنيسة بطرس وارتفاعها أربعة وعشرون مترًا. وكانت هذه وتلك قائمتين بمعبد الشمس في هليوبولس. وفي روما، مسلات أخرى من صنع الرومان محاكاة للمسلة المصرية ولكنها دونها ولا تبلغ في الارتفاع مبلغها. الأقيال: جمع قيل، وهم الملوك والرؤساء.

(4) الهرم المشار إليه هرم كايوس تشتيوس Caius Cestius من الرؤساء الرومان وكانت وفاته سنة 43 قبل الميلاد ولا يزيد ارتفاع هذا الهرم على 37 مترًا وهو بناية من الآجر يكسوها الرخام. البحاتر: جمع بحتر وهو القصير.

(5) آطام جمع أُطْم: الحصن. تدرع: لبس الدرع وتدرع به تحصن به (م).

وأَعـــمـــدةٌ قـد كـــان تمـثـالُ ربِّـهـا
عـلـى رأسـهـا سَـحْـبـانَ تـلـك المنابر[1]
وأَقـــواسُ نـصـرٍ خـلّـدتْ جـنـبـاتُـهـا
عـلـى الـصـخـر مـا أَمْـلـى رواةُ البشائر[2]
لـكـم مـرت الأَجـنـادُ تحـت عـقـودهـا
خِـفـافًـا بـأَعـلام الـنـسـور الـكـواسـر
كـتـائـبُ جـرّارٍ يَـصِـلّ سـلاحُـهـا
وتَـرفـع بـالإِنـشـاد هـوجَ الـعـقـائـر
مـردّدةُ الأَبـواقِ تُـعـلـن نـصـرَهـا
وثَـمَّ هـتـاف الـشـعـب مـلءُ الحـنـاجـر
وفـي الـصـدر منـهـا مَـركَـبُ النصر عاليًا
كـبـرج مـن الإِبـريـز أَفْـرَهَ سائر[3]
تجـرّره الأَفـراسُ مِـن كـلِّ مُـحْـضِـرٍ
لـدى السبق، هـمـلاجٍ لـدى العرض خاطر[4]
تجـلَّـى عـلـيـه ذو جـبـينٍ مـكـلَّـلٍ
لـه فـوق عـرش الـعـاج جِـلـسـةُ ظافـر
يـروع بـوجـهٍ أَحـمـر الـصـبـغ مـشـرقٍ
يُـخـال سـنـاه وهـج شـمـس الـهـواجـر

(1) من هذه الأعمدة عمود الإمبراطور تراجان وعمود الإمبراطور مارك أوريل، وكلاهما أقيم تذكارًا لما أحرزه هذا وذاك من النصر على الأعداء. وكان على قمة كل عمود تمثال صاحبه، فلما صارت الغلبة للمسيحية جعل البابا مكان تراجان ومارك أوريل الإمبراطورين تمثالي بطرس وبولص القديسين. سحبان تلك المنابر، أي: خطيبها.

(2) أشهر أقواس النصر أقواس تيتوس وسيفير، وتراجان وعليها جميعًا نقوش تمثل انتصاراتهم. وقد زاد على نقوش قوس تراجان الإمبراطور قسطنطين في العصر المسيحي ونسبه لنفسه.

(3) الإبريز: الذهب الخالص. الأفره: البين الفراهة وهي خفة الحركة.

(4) المحضر: الشديد الجري. الهملاج: الحسن السير في سرعة وبخترة.

وحُـلَّـتُـه مـن أَرْجـــوانٍ وعـسـجـدٍ
وزيـنـتُـهُ مـن دُمْـلُـجٍ وأَسـاور
وبـين يـديـه يَـعـرض الـنـصـرُ سـوقَـه
غـنـائـمَ حـربٍ فـي الـعـجـال المَـوَاقِـر[1]
وتمـشـي حـفـاةً فـي الـسـلاسـل رُسَّـفًـا
أُسـاراه مـثـلَ الـهَـدْي صـوب المجازر[2]
مـواكـب تجـتـابُ المـديـنـةَ كـلـهـا
تـطـوف نـواحـيـهـا طـواف مُـفـاخِـر
وتُفضي – وللشكران عُقبى مطافها –
إلـى مـعـبدٍ فـي ذروة الـطـود كابر[3]
ومـا أَنْـس لا أَنْـس المـلاعـب شـادهـا
عـواهـلُ رومـا نـزهـةً للخواطر[4]
ونـزهـتـهـم فـيـهـا صـراعُ عـبـيدهـم
وإعـتـاق أَسـراهـم بِـحـزِّ المـنـاحـر
وطـرْحُ الـنـصـارى لـلـسـبـاع تشـفـيًـا
لأَربـاب رومـا مـن تمـرّد ثـائـر
مـلاعـبُ قـد دكَّ الـزمـانُ صـروحـهـا
أَوائـلـهـا قـيـد الـبـلـى كـالأَواخـر

(1) عجال: جمع عجلة وهي التي تحمل عليها الأثقال. مواقر: جمع موقر وموقرة أي مثقلة.
(2) الهدي ما أهدى إلى الحرم من النعم لنحره. وكان الأسرى يقتلون في مطبق تحت المعبد عقب انتهاء الموكب.
(3) هو معبد على صخرة الكابتول ويعرف بمعبد جوبيتر الكابتولي حامي رومه.
(4) كثرت هذه الملاعب في الدولة الرومانية، وهي أميل إلى الشكل الإهليلجي منها إلى الاستدارة. والملعب ساحة تسمى بالعرين arena حولها المدرجات. وأهم ما كان يعرض في العرين صراع المجالدين Gladiator فيما بين بعضهم وبعض أو فيما بينهم وبين السباع.

سـوى ملـعـبٍ أَبـلـى الـلـيـالـي مـنـاعـةً
وشَـقَّ عـلـى أَرجـائـهـنَّ الـدوائـر[1]
تـعـالـى طـبـاقًـا آزجٌ فـوق آزجٍ
يـزاحـمـن أَبـراجَ الـنـجـوم الزواهر[2]
قـد انـفـسـحـت أَقـطـاره وتحـلَّـقـتْ
مـقـاصـيـرُه تـرعـى عـريـن القساور[3]
إذا بـثـت الـقـمـراءُ فـيـه ظـلالـهـا
ورفَّـت بـه أَنـفـاسُ هـوج زوافـر[4]
تـخـال بـه أَبـنـاءَ رومـا وغـيـدهـا
مـهـلِّـلـةً تـلـهـو بـدامـي المـنـاظـر
ولـكـن دورًا قـد رعـى الـدهـرُ عـهدها
وإن عُـطِّـلـتْ فـيـهـا عـتـاقُ المشاعر[5]
عـلـتـهـا يـدُ الإنـسـان بـالمـقْـت والـقِـلـى
وجـبَّ اخـتـلافُ الـدِّيـن عـقْـدَ الأَواصـر[6]
سـبـاهـا الأُلـى ارتـادوا الدَّيـاميس مفزعًا
وبـاتـوا ومـوتـاهـم بـبـطـن مـغـاور[7]

---

(1) هو الملعب الفلافي المعروف بالكولوسيوم Colosseum وقد شرع في بنائه الإمبراطور فسبازيان في سنة 72 ميلادية، وأتمه خلفه تيتوس وافتتحه عام 80 ويتسع هذا الملعب لنحو خمسين ألف من النظارة ولا تزال معالمه قائمة.

(2) الآزج: جمع أزج، وهو البيت يبنى طوالا.

(3) القساور: الأسود.

(4) هوج زوافر: وصف للرياح.

(5) الدور هنا هي المعابد الوثنية، وعتاق المشاعر وطقوسها الدينية القديمة.

(6) القلى: البُغض والحقد. جبّ: قطع (م).

(7) الدياميس: جمع دياماس وهو الحفير تحت الأرض. والدياميس في روما كثيرة، وهي سراديب اتخذها النصارى مدافن لموتاهم، وكانوا يوغلون في حفرها أطباقًا تحت أطباق لغلاء الأرض عليهم في ذلك الحين، وكانوا يحفرون في جانبي كل سرداب لحود الموتى. ولما كان الرومان يرعون حرمة الموتى فقد التجأ النصارى إلى هذه الدياميس أثناء اضطهادهم في القرن الثالث الميلادي لإحياء دينهم في غياباتها.

وغـــادرهـــا الـــديـــنُ الجـــديـــدُ لـربِّـه
وبـيـعـاتـه الـكـبـرى رُكـــامَ محاجر[1]
كـنـائـسُ قـامـت لـلـمـسـيـح مـقـامَـهـا
وتـــاهـــت بـــقُـــبَّـــاتٍ لـــهـــا ومنائر[2]
وجـــدَّتْ فـنـونٌ طـبَّـق الأرضَ صيتُها
تجـلَّـى بـهـا فـنُّ الـثـقـات العباقر[3]
فـيـا رُبَّ حـــيٍّ صـــوّروه تـخـالـه
وأَنـفـاسُـه - كـالحـيِّ - مـلءَ المسَاحِر[4]
يُـــزاد مِـــنَ الـتـجـسـيـم فـضـلَ ضـلاعـةٍ
وروعـــــةَ تـــأَثـــيـــرٍ وفـتـنـة فـاخـر
فـأَغْـجِـبْ بـأَطـيـاف الأَسـاطـيـر حَـيَّـةً
عـلـى سـقـف مـحـرابٍ هـنـالِـكَ غائر[5]
ويـــومٍ عـصـيـبٍ لـلـحـسـاب كـأَنـه
حـقـيـقـةُ حـسٍّ لا خـــداعُ نـواظـر[6]

---

(1) الدين الجديد، أي: النصرانية. البيعات: جمع بيعة وهي الكنيسة.

(2) الكنائس في روما لا يحصيها العد، ولا غرو فهي كرسي البابوية والعاصمة الكبرى للمسيحية، وأعظم هذه الكنائس كنيسة القديس بطرس، وتعد قبّتها أعظم ما أخرجه فن العمارة في عهد التجديد وهي من تدبير الفنان الأشهر ميكائيل أنجلو، ولعل أجمل ما في الكنيسة تمثال الورع للفنان نفسه.

(3) من هذه الفنون الجديدة التصوير بالزيت ويمتاز بسرعة جفافه، وقد جعلوا في مبدأ أمرهم يصورون بالزيت على لوحات الخشب (ومن ثمة تسميتهم الصورة باللوحة) ثم عدلوا إلى القماش، وكان التصوير قبل ذلك بالألوان المحلولة في مح البيض أو في الشمع، ويعرف التصوير القديم بالتصوير الطري affresco لأنه لا يكون إلا على سطح مجصص لم يجف طلاؤه بعد، يضاف إلى ذلك عناية المتأخرين بدراسة نظرية المنظور الهندسي ومراعاتها في التصوير.

(4) المساحر: جمع سُحْر وهي الرئة (م).

(5) ذلك المحراب أمر ببنائه البابا سستو الرابع Sisto IV ويعرف بالمحراب السستيني Sistina Cappella وعلى سقفه تهاويل لميكائيل أنجلو تمثل روائعها أساطير من التوراة من سفر التكوين.

(6) صورة يوم الحساب الأخير على جدار المذبح في صدر المحراب من تصوير الفنان نفسه وقد استوحاها من أوصاف دانتي أعظم شعراء الطليان للجحيم في الكوميديا الإلهية.

وشِـــبْـــهٍ لمـوســى لا مـحـالـة نـاطـق

بـتـمـثـالـه، بـــادي الجـــلالـــة آمـــر[1]

شـديـدِ الـقُـوى، وافـي الـشَّـطـاطِ، مـؤَرَّبٍ

لـــه بـــأَسُ جـبَّـارٍ وبِـنْـيـةُ حـــادر[2]

وحـقُّ كـليـم الـلـه فـي الـطُّـور أَن يُـرَى

– بما دُكَّ منه الطورُ – صُلْبَ المكاسر

عـجـائـبُ فـــنٍّ قـــد أُتـــيـــح لـربَّـه

– على فضل هذي – فضلُ بانٍ وشاعر

لـقـد جـمـعـوا أَطـــراف كـــلِّ صـنـاعـةٍ

وأُوتـــوا عـلـى الـتـكـويـن قـــدرة قـادر

شـخـوصُ تمـاثـيـل وبِـــدْعُ زخـــارفٍ

وإِعـــجـــازُ تـصـويـرٍ وســحـرُ عـمـائـر

عـلـى كـل مـيـدانٍ وفـــي كـل مـفْـرقٍ

تـقـوم الـدُّمـــىَ فـي حـفْـلـهـا المتكاثر

وتـنْـثـر هُـــولاتُ الـفـسـاقـيِّ مـاءَهـا

بـتـصْـنـيـع مُـفـتَّنٍ وصـنـعـة ماهر[3]

أَضـافـوا إلـى غُـرِّ الأَعـاصـر عصرهم

وعـصـرُهُـم فـي الـفـن زيْـنُ الأَعاصر[4]

---

(1) هذا التمثال من صنع الفنان نفسه وهو موجود بكنيسة القديس بطرس المكبل بالحديد San pietro in Vincoli.

(2) الشطاط: الطول واعتدال القامة (م).

مؤرب، أرب الرجل كان ذا عقل وبصيرة. الحادر من الرجال: المجتمع الخَلْق (م).

(3) الهولات جمع هولة: كل ما كان غريب الخلقة. وهي تشير هنا إلى ما يزين الفساقي من تماثيل غريبة الخلقة كالحيلان (نصفه إنسان ونصفه سمك) وكأفراس الماء وجرازين الماء وغيرها من الحيوانات الخرافية وآلهة البحر في الأساطير الوثنية.

(4) غر جمع أغر وهو الأبيض الجميل.

كـذا أَنـت يـا رومـا جـمـاعُ ذخـائِـر
وتـاريـخُ أَكـوانٍ وسِـفـرُ مـآثـر
كـذا أَنـت أمٌّ لـلـحـضـارات تـنـطوي
حـضـارةُ مـاضٍ فـي حـضـارة حاضر[1]
وردتُـك مـشـتـاقًـا إلـى الـفـنِّ ظَـامِـئًـا
وعـدتُ عـلـى شـوقـي بـنَـغْـبـة طائر[2]
سـجـلُّـك مـسْـجـورٌ، وفـنُّـك بـاذخٌ
عـمـيـقٌ؛ فـمـا تـوفـيـكِ زوْرةُ زائـر
تـلـبَّـثـتُ لـو أَنـي وزوجـيَ هـاهـنـا
ولـكـن زوجـي فـي عـقـالِ الـمـقـابـر
ضـجـيـعـة أَرضٍ طـاول الـنـجـمَ مـجـدُهـا
وأَنـتِ جـنـيٌّ فـي غـيـوب الـمـقـادر[3]
لـقـد طـفـتُ يـا رومـا ربـوعَـك مـوحـدًا
فـيـا حـسـنـهـا لـو كـان زوجـي مـجـاوري
أَرانـي عـلـى الأَطـلال أَطْـولَ وقـفـةً
وأَمْـعـنَ تـسـريـحًـا لـفـكـري ونـاظـري
أَراعـى إلـى قُـدْس الـمـعـابـد أَصـبـحـتْ
مـدارجَ أَقـدامٍ ومـجْـرى حـوافـر
وأَربـابُـهـا صـرْعـى الـتـمـاثـيـل ضـيَّـعٌ
وكـانـت تـرجَّـى فـي الـخـطـوب الـكـبـائـر

(1) كانت لإيطاليا زعامة الحضارة مرتين: أولاهما قبل المسيحية في العهد الروماني القديم، والأخرى بعدها في عصر النهضة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر.
(2) نغبة الطائر: الجرعة القليلة يحسوها بمنقاره.
(3) إشارة إلى مصر وحضارتها أقدم الحضارات.

وأَحـنـو عـلـى آي الجـمـال تـنـاثـرتْ
حصًى أَو بقايا في ضمان الجبائر[1]
رسـومـك يـا رومـا الـقـديمـة عِـبْـرةٌ
لأَرمـلَ مـلـتـاعِ الجـوانـح عـابـر
مـصـارعُ مـجـدٍ شـامـخِ الـشـأوِ نـادرٍ
ومـدْفـنُ حـسـنٍ مـعْـجـز الـصـنـع بـاهـر
تـأَسّـيـتُ يـا رومـا بـهـذي جـمـيـعـها
وإِن تـك أَوثـانًـا بمـحـراب كافر[2]
تـأَسّـيـتُ بـالأَربـاب لاقـت حـتـوفَـهـا
ولـم تـنْـجُ مـن سـهـم الـردى المـتـواتـر
تـأَسّـيـتُ يـا رومـا ولـو بـعـض سـاعـةٍ
فـلـسـتُ عـلـى رغـم الـهـوى بمـكـابـر

****

(1) آي: جمع آية.
(2) تأسى: تعزّى.

فلورنسا[1]

[من الطويل]

إِلـيـكِ فـلـورنـسـا شـقـقـتُ طـريـقـي
بـقـلـبٍ شَـديـدِ الخَـفْـق جـدِّ مـشُـوقِ
تَـوالَـى عـلـى عـيـنـي الـبـلادُ أَجـوزهـا
كَـسْـهـم مَـرِيـشِ الجـانـبَـيْنِ مَـرُوق
تـوالـى سِـراعًـا روضـةً بـعـد روضـةٍ
دوالَـيْـك فـي نـظـمٍ لَـهُـن نَـسـيـق
لـهـنَّ كـمـسـنـونِ الـزمـرّدِ جَـلْـوةٌ
مُـضـاعـفـةٌ مـن خـضـرةٍ وبـريـق
تَـخَـلَّـلُـهـا الأَشـجـارُ هِـيـفًـا فـوارِعًـا
زُهـاةً بمَـمـشـوقِ الـقـوام رشيق[2]
وقـد أَلَّـفَـتْ قـضـبـانُ كَـرْمٍ شَـتـاتَـهـا
مُـشَـبِّـكـةً سُـوقًـا هـنـاك بسوق[3]
تمَـثَّـلُ لـي والـريـحُ تـلـوي قـوامَـهـا
وتـهـفـو بمـنـشـور الـشـعـور وَريـق

(1) مجلة الكتاب – ديسمبر 1947.

(2) هيف جمع أهيف: وهو النحيل. فوارع جمع فارع: مديد طويل.

(3) لا يتخذ الطليان عرائش لأغراس كرومهم على النحو المعهود عندنا، وإنما يغرسون في حقولهم صفوفًا من الأشجار متباعدة تتالى على مسافات متساوية، وعلى سوقها الطوال في غير ضخامة تتسلق حبلات الكروم حتى تبلغ قدر القامة ثم تمدد قضبان الكروم معلقة في الفضاء بين كل شجرة والشجرة التي تليها كالأذرع المتماسكة.

صَبَايا إلهِ الخمرِ ترقصُ رَقْصَها

وقد أُسْكِرَتْ في عيده برحيق[1]

وأَرقى الروابي ربوةً بعد ربوةٍ

بأَحْنَاءِ شِعْبٍ لاجِبٍ ومضِيق[2]

وفوقي رِعَانٌ وَعْرَةٌ من مُعَمَّمٍ

بثلجٍ، وحالٍ مُشْجِرٍ، وحَليق[3]

وتحتي مَهاوِي الموتِ تُفضي كمثله

إلى قاع جنَّاتٍ خوالدَ رُوق[4]

يُدار برأسي في الذُّرى فإِخالني

وأَربابَ «أُولْبٍ» بذُرْوَة نِيق[5]

تلوح السمواتُ العُلَى قيدَ إِصْبَعي

ودُنيا الورى كالذَّرِّ تحت طريقي

وهامَ خيالي في الأَساطير شاردًا

هُيامَ عُقابٍ في الجِواءِ أَبوق

وأَهْوَى بنا للسَّهْل سائقُ رَكْبنا

وما زلتُ كالسّكران غيرَ مفيق

وقالوا «فلورنسا!» فأُذكرت زوجتي

وثُبْتُ إلى حالي وسرِّ طروقي

---

(1) كان لباخوس Bacchus إله الخمر عند الوثنيين أعياد Bacchanales تحييها كواهنه الصبايا Bacchantes فينطلقن مرسلات الشعور هائمات، يتصايحن صاخبات، ويرقصن معربدات، وقد بقي من هذه الأعياد بعض الصدى في أعياد المرافع (الكرنفال).

(2) اللاحب: الواسع الواضح. أرقى: أصعد. الشعب: الطريق في الجبل.

(3) الرعان: القمم جمع رعن وهو أنف الجبل. الحالي: ضد العاطل. المشجر الكثير الشجر.

(4) روق: أي حسان رائقة.

(5) أولب: جبل كان في اعتقاد الوثنيين منزل الآلهة ومتبوأها.
النيق: أرفع موضع في الجبل.

أَحُـــجُّ لأَرضٍ حـقّـقـتْ حُـلـمَ مـهجتي
وأُنـــسَ حـيـاتـي، بُـــرهـــةً، ورفـيـقـي
مـنـابـتُ أَهْـلِـيـهـا فـلا بـــدْعَ ضُـوعِـفَـتْ
عـلـى طِـيـبـهـا طـيـبًـا بـقـلـبِ صـديـق
وكـانـت مَـــنـــارًا لـلـمـدائـن كـلِّـهـا
ورَائِـــــدَ عـصـرٍ لـلـفـنـون طَليق[1]
أَعـــلِّـــل نـفـسـي بـالـمـعـابـد والـدُّمـى
تـعـرّفـتُـهـا فـي الـطـرْس عِـلْـمَ سَـبـوق
وأُرســـــل طَـــرْفـــي رائِـــد مـتـرقّـبًـا
مَـــطـــالِـــعَ حـســـنٍ طـــــارفٍ وعـتـيـق
فـمـا راعِـــنـــي إلَّا الـقـبـورُ طـوالـعًـا
يُـطـالِـعْـنَ فـي فـيْـض الـمـدامـع مُوقي[2]
قـبـورٌ بـــأَربـــاض الـمـديـنـة جُـزْتُـهـا
فـأَذْكَـرْنـنـي زوجـي وهِـجْـنَ حريقي[3]
هـنـا كـان أَوْلَـــى أَن يُـشَـقَّ لـقبرها
فـيَـلْـحَـق فَـــرْعٌ مُـــحْـــدَثٌ بـعـروق
هـنـا كـان أَحْـــرَى أَن تـقـام لحسنها
تـمـاثـيـلُ تَـــذْكـــارٍ ورَعْـــــيِ حـقـوق
هُـنـا أَم ضِـفـاف الـنيل؟ سِـيـان فـي الـنـوَى
لَـــيْـــتٍ رهـــينٍ فـــي الـــتـــراب غـريـق

(1) بدأ عصر النهضة الأوروبية أول ما بدأ في الدويلات الإيطالية، وكانت جمهورية فلورنسا في القرن الخامس عشر أسبق هذه الدويلات، حتى لقد أطلق عليها عن جدارة واستحقاق اسم «أثينة إيطاليا».
(2) الموق مثل المآقي: مجاري الدمع من العين من طرفها مما يلي الأنف.
(3) الأرباض: ما حول المدينة.

وأَرْخَـــى علينا الـلـيـلُ سَـحْـقَ سُـدولِـه

مُـهَـلْـهَـلَـةً بـالـشُّـهْـب ذات خُـــروق[1]

ومِـلـتُ إِلـــى خـــان المـديـنـة مُـجْـهَـدًا

أُصـــانِـــعُ أَشـجـانـي لـوقـتِ شـروق

فـلـمـا تـولّـى الـلـيـلُ وانجـــاب جيشُه

أَمـــــام لـــــواءِ لـلـصـبـاح خـفـوق

بَـكَـرْتُ - فـلـورنسـا - إِلـيك مُسَلِّمًا

مُـــصِـــرًّا عـلـى لُـقْـيـاك غـيـر مَـعُـوق

إِلـــى الـقـبـة الـكـبـرى تـسـامـت كـأَنـهـا

رُكـــامُ رَبـــابٍ بـالـفـضـاءِ عَـلـوق[2]

إِلـــى الـبـرج طـاقًـا فـوق طـاقٍ أَواهـــلا

بـنَـقْـشٍ شـبـيـهٍ بـالـحـيـاة نَـطـوق[3]

---

(1) السحق: الثوب البالي.

(2) القبة الكبرى «il Duomo» وهي آية العمارة التي بها تتوجت كنيسة فلورنسا العظمى المعروفة بكاتدرائية القديسة ماري Santa Maria del Fiore والواضع لنموذج هذه القبة برونللسكي Brunelleschi وهي تزيد في الارتفاع وفي محيط الدائرة على قبة كنيسة القديس بطرس أعظم الكنائس في روما حاضرة المسيحية. ومعلوم أن هذه القبة الأخيرة من صنع ميكائل أنجلو، والمأثور عنه في كلامه عن قبة برونللسكي الفلورنسية قوله: «الإتيان بمثلها في جودة الصنعة من الأمور العسيرة والإتيان بأحسن منها من الأمور المستحيلة».

الركام: المتراكم بعضه فوق بعض. الرباب: السحاب الأبيض.

(3) البرج الشاهق «il Campanile»، برج الأجراس من عمل جوتو «Giotto» وهو طبقات أربع ذات طيقان بديعة وفي تجاويفها نقوش بارزة وتماثيل ويبلغ ارتفاع البرج نحو التسعين مترًا.

الطاق: ما عطف من الأبنية، أي: جعل كالقوس من قنطرة أو نافذة أو كوة غير نافذة وما أشبه ذلك.

إِلــى المَـغْـسَـل الـقُـدْسـيِّ يُـزْهَـى بسقفه

وبـــابٍ بـأَعـتـاب الجـنـان خليق[1]

عــرائــسُ بـيـضٌ مــن رخـــامٍ ممــرّدٍ

تحـلَّـى بـتَـخْـطـيـطٍ أَحَـــمَّ دقيق[2]

يـــرفّ عـلـيـهـن الـضـيـاءُ كـأَنمـا

يـــزلّ عـلـى سَـــطْـــحٍ لـهـن زَلـيـق

روائـــعُ فـنٍّ لا يُـضـارَعُ حسنُـها

وقـد جُـمـعـتْ طُـــرًّا بـسـاحـة ســوقِ[3]

عـلـى أَنـــه لـم تَـخْـلُ مـنـكِ بُـقَـيْـعَـةٌ

– عـلـى صِـغَـرٍ – مـن شـائـقٍ وأَنـيـق

طـرائـفُ شـتَّـى كـلـهـنَّ شـواهـدٌ

عـلـى فـضـلِ بـيـتٍ مـن بـنـيـكِ عريق[4]

وثـمـة فـوق الـفـن سـحـرُ طـبـيـعـةٍ

رهـــينٌ بـســرٍّ فـي ثـــراك عـمـيـق

ومـا المـاءُ فـي مَـجْـراك مـن مـاء كـوْثـرٍ

ولا الـتُّـرْبُ مـن مِـسْـكٍ هـنـاك فَـتِـيـق

---

(1) المغسل القدسي «il Battistero» ويسمونه كنيسة القديس يوحنا المعمدان San Giovanni Battista وفيه حوض يعرف بحوض العماد لتغطيس الأطفال فيه لغسل الخطيئة الأولى عنهم. ومن أروع مشاهد هذا المغسل تهاويل سقفه المنقوشة بالفسيفساء وأبوابه من الشبه (البرونز) المحفور بشتى المناظر الحية الممثلة للأساطير الدينية، ويقال لأحد هذه الأبواب خاصة – وهو من صنع جيبرتي Ghiberti باب الجنة لقول ميكائل أنجلو في تقدير صنعة أبوابه إنها جديرة بأن تكون أبواب الجنة.

(2) هي الروائع الفلورنسية الثلاث: الكنيسة والبرج والمغسل، جميعها مكسوة البنيان بأنفس الرخام الأبيض والملون القاتم. أحم: أسود.

(3) السوق المعروفة بساحة القبة «piazza del Duomo».

(4) هي أسرة مديتشي «Medici» من التجار الأغنياء أصحاب المصارف وقد صارت ولاية الحكم إليهم وراثة في فلورنسا حقبة من الزمن، وقد اشتهروا برعايتهم للفنون والآداب.

كـــأَنَّ هـنـا الـطِـلَّـسْـمَ عُـقْـلَـةَ قـادمٍ
وقـيـدَ نـزيـلٍ فـي هـــواك رَبِـيـــق[1]
تـلَـفـتُّ لمّـــا أَن تـركـتُـكَ راحـــلا
تَـلَـفُّـتَ عـــانٍ عـاشـقٍ لـعـشـيـق
إِلـى الـقـبّـة الـكـبـرى تـريـنُ عـلـى الحِـمـى
وقـد أَكْسَبَتْـهـا الـشـمـسُ لـونَ عقيق[2]
كـذلـك رانَـــتْ فـي الحـيـاة وفـي الـرَّدى
عـلـى أُفْـــقِ عـمـري زوجـتـي وشقيقي[3]

****

(1) الربيق: الواقع في الحبالة وهي شبكة الصياد.
(2) ران عليه الشيء يرين: غلبه وغطاه (م).
(3) زوجتي وشقيقي صفتان لموصوف واحد.

جِنْوَا

[من الطويل]

خـلـيـجُـكِ، جِـنْـوَا! لازَوَرْدٌ وبـلُّـورُ
يَـرُدّان طـرفـي عـنـكِ والـطـرفُ مـبـهـورُ
سـمـاؤُك جـلـواءٌ، ومـاؤُك جـوهـرٌ
فـأَيَّـهـمـا اسـتـقـبـلـتُ صـافـحـنـي النور[1]
وفـي الأُفـق شـطٌّ حـالـمُ الحسن فـي الضحى
كـمـا امـتـدّ وادٍ فـي الأَسـاطـيـر مسحور
شَـجِـيـرُ الـروابـي، مُـزهِـر الـقـاع، وارفٌ
كثيفُ الـدوالـي، فـارعُ الـسرو، منضور[2]
يُـخـايـل كـالـفـردوس مـن فـرط حسنه
فـإِن يـك مـعـمـورًا فـعـامـرُه الحـور
غـدت بـي عـليـه الـفُـلك - مـن بـعد جريها
تـهـادت - كـأَن الـفـلكَ سـكـرانُ مخمور[3]
ومـا بـي إِلـى الـفـردوس والحُـور مـأَربٌ
عـلـى أَن كـلَّ الـركـب نـحـوهـمـا صُـور[4]
حـدانـيَ لا حُـبٌّ ولا طـيـبُ مَـرْبـعٍ
ولـكـنـمـا مـوتٌ بـفَـنِّـك مـنـشـور

---

(1) سماء جلواء: صحو صافية الأديم.
(2) شجير: كثير الشجر. الدوالي: جمع دالية وهي شجرة الكرم، أي: العنب.
(3) الفلك (تؤنث وتذكر): السفينة.
(4) الركب: المسافرون. صور: جمع أصور وهو المائل.

هـنـالـك فـي واديـــك، فـي حَـــرَم الـــردى

حديثُ الـهوى والـموت في الصخر منقور[1]

تمـاثـيـل تـسـتـوحـي الحـيـــاةَ مـثـالَـهـا

بـــراهـــا صَـــنـــاعٌ بـالـتـمـاثـيـل نـحـريـر

يـصـــوّر حـــالَ المـيـت والحـــيّ: والـــدٌ

مـسـجَّـى، وجَـمْـعُ الأَهـــل لَـهـفـانُ مـذعـور

ووالـــــدةٌ وَلْـــهَـــى تـــهـــدَّل شـعـرُهـا

وواحـــدهـــا بـــين الـــذراعـــين مـقـرور

وخَـــوْدٌ تُـزيـح الـسـتـر عـن وجـه زوجـهـا

فـتُجفل إذ جلَّى إلـى الـزوج مقدور[2]

وإلِـــفـــان فـــي رَيْـــق الـشـبـاب تـعـانـقـا

ولـكـنـهـا وَسْـــنَـــى وأَجـفـانُـــهـــا غـور

هـــي الـقُـبـلـة الأُخـــرى يُـبـادلـهـا لـمًـى

جـلـيـدٌ، وثـغـرٌ مُـضـرَم الـشـوق محرور[3]

فـجـائـع تـسـتـولـي عـلـى الـعـين والحـجـى

فـيـخـتـلّ مـعـقـولٌ ويـــســـودّ مـنـظـور

وفـــوق ثـراهـا الـزهـر أَنـضـرَ مـا تَـرَى

شـقـيـقٌ ونِـسـريـنٌ وورد ومنثور[4]

---

(1) حرم الردى: يسمونه بالإيطالية Campo santo والمقصود به هنا مقابر ستاليينو staglieno وهي في الناحية الشمالية الشرقية من جنوا في واد بيزانيو Bisagno وتعد أعظم المقابر في إيطاليا، وقد تكون أعظمها في العالم أجمع، بما ينتظمها من الأضرحة الفخمة ذات التماثيل الفاجعة، فضلًا عن اتساع أرجائها ونضرة جنباتها وازدهار ساحاتها.

(2) الخود: المرأة الشابة. جلى: سبق.

(3) اللمى: بمعنى الشفة. الجليد: جامد الثلج.

(4) الشقيق: زهر أحمر مبقع بنقط سود. النسرين: ورد أبيض. المنثور: زهر أصفر ذكي الرائحة.

وحسبك زهرٌ بالجسوم مزوَّدٌ

وبالدم ممدودٌ وبالدمع ممطور

كذلك مأساة الحياة نقائضٌ

شَتاتٌ، ووجهُ الرأي فيهن مستور

يطوف بعقلي طائفُ الشك عندها

فلا هو مقبولٌ ولا هو منكور

وإني لأُزجِي الخطوَ أسوانَ واجمًا

أَودّع وادّي الموت والعقل مقهور

إذا نُصُب «الإيمان» - وَسْط فنائه

وبين المَاسي - ناصبُ الرأَس منصور[1]

****

(1) النصب: التمثال.

البندقية

حلم من الأَحلام الإِيطالية

[من الخفيف]

هـــذه أَنـــتِ يـــا عـــروسَ المـــاءِ
قـد تَجـلَّـيـتِ تحـت وَرْدِ المـسـاءِ
تـــتـــراءَيـــن لـــي كـــحُـــلـــمٍ قـديم
أَبـــدعـــتْـــه بـــداهـــةُ الـقـدمـاء
ربـــةُ الحـسـن قـد تـبـدَّت مـن البحـر
ولـــيـــدًا مـــن رغـــوةٍ وضـــيـــاء[1]
هـــذه أَنـــتِ تُـسـكـريـنـي فـمـا أَعـرف
أَرضـــــي ومـــاءَهـــا مـــن سـمـائـي
أَسْـكَـرَتْـنـي ولـيـس مـن صـهـبـاءِ
رعـشـةُ المـاء هـاهـنـا والـهـواءِ
أَسـكـرَتْـنـي الخـلـجـانُ منـشـعـباتٍ
ضـيِّـقـاتِ الـشـعـاب ذاتِ الـتـواء[2]
كـالأَتـاويـهِ مُـلـغِـزات تُـعـايـي
بـاشـتـبـاك الـدروب والأَنـحـاء[3]

---

(1) ربة الحسن في الأساطير اليونانية هي أفروديت وليدة البحر المخلوقة من رغوته.
(2) معلوم أن فينيسيا «Venezia» أو البندقية بنيت على ما يزيد على المائة من الجزر الصغار المتقاربة تفصلها الخلجان الضيقة «Rii» وتصل بينها الجسور.
(3) الأتاويه: الفلوات الملتوية المتشابهة التي يضل فيها. عاياه: ألقى عليه كلامًا لا يهتدي لوجهه.

والخليج الكبير منفسحَ الجنبين
للفُلْك كانفساح الرجاء[1]
والخِضَمُّ المحيط أَزرق رجرا
جًا عظيم العُباب ضاحي الفضاء[2]
هو عِرْسٌ زُفتِ منه إلى أَر
وعَ جمِّ الثراء جمِّ الرواء[3]
أَسكرتني طولَ الطريق أَفانينُ
جمالٍ هنا بغير انتهاء
حُبُكُ الماءِ فضةً ونضارًا
في اختلاف الأَنوار والأَفياء
وطوالُ الأَوتاد عند المراسي
زاهيات الأَعلام للإِرساء
وتَوالي الجسور من كل ممشو
قٍ أَقَبِّ الحشى دقيق البناء[4]
غير جسرٍ ما بين صرحٍ وسجنٍ
جاد فيه الهَلْكَى بباقي الذَّماء[5]

(1) الخليج الكبير يشق وسط المدينة على شكل حرف S وطوله نحو ميلين وتتفاوت سعته بين الثلاثين و الستين مترًا.

(2) الخضم المحيط: هو بحر الأدرياتيك. الضاحي: المنكشف للشمس.

(3) عرس المرأة زوجها. وقد جرى ولاة البندقية على الاحتفال كل عام بزواج المدينة من البحر رمزًا إلى سيادتها البحرية: وفي هذا الاحتفال كان الوالي «الدوج Doge» يستقل الزورق الرسمي المزدان «Bucentaur» ويلقي إلى البحر الأدرياتيك خاتم الزواج الذهبي بين التراتيل الدينية، وذلك كله في مشهد عظيم وأبهة فائقة.

(4) أشهر هذه الجسور وأبدعها جسر ريالتو في وسط المدينة على الخليج الكبير، وهو قنطرة واحدة من رخام. أقب الحشى: نحيف الخصر ضامره.

(5) هو جسر الزفرات ويصل بين قصر الوالي والسجن السياسي. وكان السجين يقتاد من السجن إلى قصر الوالي ليقضي فيه قضاءه، وهو الموت في الأغلب الأعم. وكانوا يعوجون بالسجين في عودته فوق الجسر على حجرة به يخنق فيها فيلفظ هناك الزفرة الأخيرة. ومن ثمة تسميته بجسر الزفرات.
الذماء: بقية الروح.

وانسيابُ «الجُندول» يسعى خفيفًا

في سوادٍ كالحية السوداء

مستدقًّا، ذا جُؤْجُؤٍ مشرئبٍّ

شائلَ العَجْب، مستطيل المَطاء[1]

وعليه مقصورةٌ ذاتُ فرشٍ

وريـاشٍ كالقبة الحدباء

أَسكرتْني منكِ القصورُ على الشَّـ

ـطِّين بيضًا كالشمعة البيضاء

راسياتٍ لا فوق حَزْن وسهلٍ

شارعاتٍ إلى شوارعَ ماء

شادها السيّد المؤَثَّل ذو النّعـ

ـمة من مرمرٍ شفيفِ الصفاء

حالياتٍ بالطنْفِ والطاقِ والأَقـ

ـواسِ هِيْفَ الضلوع والأَحناء[2]

وكأَن الرّخامَ، من كثرة النقـ

ـشِ عليه، مخرَّماتُ الوِشاء[3]

أَسكرتني منكِ الكنائسُ في الما

ءِ كعيسى يمشى على الدأَماء[4]

---

(1) الجؤجؤ من السفينة: الصدر. شائل العجب: مرفوع الذنب إشارة إلى ارتفاع مؤخر السفينة. مستطيل المطاء: ممدود المطي، وهو الظهر .

(2) الطنف: إفريز الحائط وما أشرف خارجًا عن البناء والسقيفة تشرع فوق الباب. الطاق: ما عطف من الأبنية من قنطرة ونافذة وكوة غير نافذة.

(3) مخرمات الوشاء هي المعروفة في اللغة الدارجة باسمها الأجنبي الدنتلا.

(4) الدأماء: البحر. والإشارة إلى بحر الجليل المعروف ببحيرة طبرية، وعلى مائها مشى المسيح في جملة ما جاء من خوارقه ومعجزاته.

صـــاعـــداتُ الـقـبـاب، عـالـيـة الأَبْـــ

وابِ، غَـمْـرُ المحـــراب بـــالأَضـــواء

قـائـمـات المـعـراج فـي المـــاء يـرقَـى

نـحـوهـا كـالـغـريـق أَهـــلُ الخـطـاءِ

أَسـكـرتـنـي مـنـكِ المـنـارةُ والـسـا

عـــةُ، كـــلٌّ بـالـسـاحـة الفيحاء[1]

يـتـنـادى الـبُـرجـان، يُـــؤذن هـذا

بـــصـــلاةٍ، وذاك بـــالآنـــاء

سـاعـةُ الـبـرجِ بـدعـة تُـطـلـع الـنـا

ظـرَ طِـلْـعَ الـبـروج والأَنـــواء[2]

يـتـلـقـى نـاقـوسُـهـا ضـــرب جـبَّـا

ريـــن عُـــرْبٍ بـالـرنّـة الجـوفـاء[3]

وتُجـيـب الأَجـــراس فـي الـشِـقـة الأُخـ

رى بـأَشـجـى الـترجـيـع والأَصـــداء

أَسـكـرتـنـي هـــذي المـجـالـي ولاءً

شَـــدَّ سُـكـرِي مِـن المـجـالـي الـــوِلاء

---

(1) الساحة الفيحاء «La piazza» وتعرف بساحة القديس مرقص Marco pizza san وفي صدرها الكنيسة العظمى المعروفة باسم هذا القديس وهو عندهم راعي المدينة وحاميها وشفيعها. وعن يمين الكنيسة منارة الأجراس وعن يسارها برج الساعة.

(2) ساعة البرج عظيمة الجرم بديعة الصنع ذات وجه مذهب. وهي فوق إشارتها إلى الساعات والدقائق تشير إلى تاريخ اليوم وإلى منطقة البروج وإلى أوجه القمر.

(3) في أعلى برج الساعة – المسور بدرابزون أنيق – ناقوس ضخم، وإلى جانبي الناقوس تمثالان عملاقان من الشبه (البرونز) أطلق الناس عليهما «العرب Mori» لما علاهما من سمرة الصدأ، وهما – كلما حان الوقت – يهويان بمطرقتها على الناقوس يدقان الساعات وأنصاف الساعة.

وتمـــامُ الإِســكــار فــي الــســاحــة الــغــرّ

اءِ مــجــلــى الــكــنــيــســة الــغــراء

تــوّجــتْــهــا الــقــبــابُ صــغــرى وكــبــرى

كــارتــكــام الــبــهــاءِ فــوق الــبــهــاء

وجــيــادٌ بــطــنْــفــهــا كــبُــراق الْــ

ـوَحْــــيِ شــبَّــت تــهــمّ باستعلاء[1]

وكــســتــهــا الــفــســيــفــســاءُ فــصــوصًــا

فــوق أَرضٍ مــن عــســجــدٍ وضّــاء

وزجــــاجٌ مــلــــوَّن فــي ذراهــــا

يــخــطَــف الــعــينَ بــالــســنــى والــســنــاء

قــد تجلَّت فــي الــصــدر أَروعَ مــا تُــبْــ

ـصِــــرُ عــــينٌ فــــي هــــذه الأَرجــــاء

☆☆☆☆

هــــذه أَنــــت يــا عــــروس المــــاءِ

فــتــنــةٌ فــي الــصــبــاح والإِمــســاء

هــذه أَنــت، غــيــر أَنِّــيَ مــا عــتَّــمــ

ـتُ أَن هــيّــج الــتــذكــرُ دائــي

يــا جــلاءَ الــعــيــون بــالــنــور شــعــشــا

عًــا مــن المــاءِ والــصــفــا والــهــواء[2]

(1) هي جياد أربعة من الشبه تعلو الطنف فوق الباب الكبير الأوسط من أبواب الكنيسة.
(2) الصفا جمع صفاة: الحجارة الصلدة.

يـا جـلاءَ الـنـفـوس بـالحـسـن فـي البِيـ

عـات والـدور والـدُّمَـى والـنـسـاء

مـا لـعـيـنـي مـن دون نـورك قـد غا

م عـلـيـهـا كـغَـيْـهـب الظلماء[1]!

مـا لـنـفـسـي حـيـال حـسـنـك قـد عا

دت جـمـادًا كـالـصـخـرة الـصـمـاء!

قـد ركـبـتُ الجُـنـدولَ فـيـك وحـيـدًا

هُـزْأَةً بـين سـائـر الأَحـيـاء

هـو فُـلـك الـعـشَّـاق تحـنـو عـلـيـهـم

بـضـلـوعٍ مـن فـازةٍ وَطْـفـاء[2]

كـم أَجَـنَّـتْ مـن عـاشـقَـيْن عـلـى الجَـمْـ

رِ فـغـابـا عـن أَعـين الـرقـبـاء

يُـطـفـئـان الـهـوى وقـد رَجَّـع الـنُّـو

تِـيُّ لحـنًـا فـي الـلـيـلـة الـقـمـراء

وأَنـا ذلـك الـشـقـيّ ارتَـقَـى الجُـنـ

دُولَ فـردًا إِلا مـن الـبـرحـاء

تَـنْـسـم الـريـحُ مـن حـوالـيّ كـالـسـكْـ

رى بـزفْـرِ الـهـوى وعـطـرِ رِداء

قـد تَـعَـلـلْـتُ لـو أَرانـيَ ممطو

لًا بـوعـدٍ، فـالـوعـد رهـن وفـاءِ

---

(1) الغيهب: السواد الشديد.

(2) الفلك: السفينة يذكر ويؤنث. واستعمل هنا مؤنثًا. الفازة: مظلة ذات أعمدة. الوطفاء: الطويلة الأهداب.

غـيـر أَن الـتـي هَـوِيـتُ لـقـاهـا
رهـن قـبـرٍ، فـلاتَ حـين لـقـاء
زوجـتـي وحـدهـا عـشـيـقـي وإِلـفـي
وهـي أُنـسـي دون الـورى وهـنـائـي
يـا ربـوع «الـلـيـث المـجـنَّـح» حُـزنـي
مـخـلـبُ الـلـيث غـاصَ فـي أَحشائي[1]
هـيّـج الـفـكـرُ والـتـذكـرُ مـن نـا
ريَ حـتـى لـقـد كـرهـت ثَـوائـي
فـتـركـتُ الخـلـيـجَ مُـسـتـعـبِـر الـعيـ
نَـيْنْ أَعـشـو لـلـمـاءِ مـن خـلـف مـاءِ[2]

****

(1) الليث المجنح: شعار مدينة البندقية. ويقوم شعارًا لها على عمود سامق وسط ساحتها.
(2) مستعبر: جاري العبرات. يعشو: ينظر للشيء دون أن يحققه.

وداع إيطاليا[1]

على بحيرة كومو

[من الكامل]

فـي شـطّـكِ الأَحْـــوَى خـتـامُ مطافي
يـا جَـنّـةَ المـلـتـاع والمـصـطـافِ[2]
طـافـت بـشَـطَّـيْـك الـرُّبـىَ مـخـضـرّةً
بـالـسَّـرْو والـزيـتـون والـصـفـصـاف
وطـلـعـتِ كـالـقَـدَح المـدوَّر مـترعًـا
حـتـى الـطـفـافـة بـالـرحـيـق الصافي[3]
سـكِـرَتْ بمـرآك الـنـواظـر والحـجـى
والحـسُّ سـكـرًا غـيـر ذي إِنـزاف[4]
وتـنـزَّلـتْ فـيـك الـسـكـيـنـةُ كـالـنـدى
فـي نـفـسِ مـجـروح الحـشـى لهَّاف[5]
طـاب الـتـوجُّـدُ فـي حِـمـاك ولـم يكن
عـنـدي الـتـوحّـد طـيّـبَ الأَوصـاف
مـا مُـوحَـدٌ مَـن كـان فـيـك مـصـاحِـبًا
لـلـطـيـب والألَّـوان والأَعـطـاف

(1) مجلة الكاتب المصري – مارس 1948.
(2) الأحوى: الأسود تعلوه خضرة.
(3) الطفافة من الإناء: أعلاه.
(4) الإنزاف: ذهاب العقل من السكر.
(5) اللهاف من لهف نفسه بتشديد الهاء: قال والهفاه متحسرًا على نفسه.

أَزهـــــارُ بـســتـانٍ، ودَوْحُ خـمـيـلـةٍ،
وشـــذًا كـأَذكـى الـعـطـر للمستاف[1]
يـا مـا أُحَـيْـلـى سـاعـةً مُـلّـيـتُـهـا
فـي ظـل تـلـك الـدوحـة المضياف[2]
فـي ظـلـهـا عـرفـتْ أَفـاويـقَ الـرضـا
مَـنْ لـم تـكـن تـدريـه غـيـر نطاف[3]
رُودٌ مـن المـلـكـات جـافـت خِـدْرَهـا
كـرهًـا ولـم تـخـلـع ثـيـابَ زفـــاف[4]

(1) المستاف: المستنشق.

(2) الدوحة المضايف إشارة إلى دوحة جميز من أعظم الدوح في إيطاليا في الفندق القائم على بحيرة كومو المعروف بفيلا ديستي Hôtel Villa d' Este.

(3) الأفاويق: الفيض في أثر الفيض. وأصله ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة.
نطاف: جمع نطفة: قطر الماء يسيل قليلًا قليلًا (م).

(4) الرود الشابة الحسنة.
والإشارة هنا إلى الأميرة ثم الملكة كارولين ابنة دوق برونزويك الألماني وزوجة ولي عهد إنجلترا ثم ملكها جورج الرابع، وقد انفصلا بعد عام واحد من زواجهما ولم يمض على ميلاد ابنتهما شارلوت إلا القليل. فعاشت الأميرة في عزلتها نحو الثماني عشرة سنة في إنجلترا. وعلى الرغم من المساعي التي بذلت والأدلة التي أقيمت على كذب الأراجيف الشائنة التي ألصقت بها، بقي الأمير مصرًا على سوء ظنه بها وجفائه لها. فرحلت الأميرة عام 1814 إلى موطنها في برونزويك فإذا هي موضع القيل والقال في قصر الإمارة الألمانية، فكرهت المقام بين قومها، وعمدت إلى الأسفار تلتمس التفرج والسلوى بالمشاهد والآثار. فارتحلت أول ما ارتحلت إلى نابولي، ثم زارت جزائر إلبا وكورسيكا وصقلية، ثم أبحرت إلى شمال إفريقية ومن بعدها إلى فلسطين واليونان ومالطة، ثم عادت إلى نابولي ومنها إلى رومة. وكانت تهبط حيثما هيطت مثل ملك الخير، تعود المرضى تحسن إلى الفقراء والمحتاجين حتى عرفت باسم «الأميرة المحسنة La buona principessa». ثم أصعدت الأميرة إلى شمال إيطاليا؛ وأقامت بعض الوقت في ليفورن وجنوه وميلان، حتى إذا زارت منطقة البحيرات كانت بحيرة كومو أكثر المواضع فتنة لها وأطيبها موقعًا في نفسها. فاشترت في شرنوبيو Cernobbio مغنى على البحيرة، فجملته، وزادت فيه، وجعلت له المراسي من رخام للمراكب والقوارب، واستجدت به حديقة منسقة على الطراز الإنجليزي، وفيها دوحة الجميز الكبرى – ويقال إنها أبدع دوح الجميز في إيطاليا بأسرها – وفي ظلها كانت تجلس الأميرة الإنجليزية الجميلة La principessa graciosissima في أكثر الأحيان، تطعم وتسمر طلبًا للسلوان، مع حاشيتها وخاصة معارفها والمتصلين بها.
واستقرت كارولين في هذا المغنى الذي عرف من وقتها باسمه الجميل فيلا ديستي villa d'Este، حتى إذا مات الملك جورج الثالث، وآل العرش إلى زوجها، رأت من واجبها ومن حقها – وهي اليوم ملكة بريطانيا وإيرلندة – أن تعود إلى لندن إلى جانب زوجها الملك، فإذا بها تمنع من الاشتراك في حفلة تتويجه في كنيسة وستمنستر، ثم لا ينقضي على هذا المنع الأليم أسابيع ثلاثة حتى تقضي هذه الملكة التعسة نحبها كسيرة القلب فريدة مستوحدة.

جـــوّابـــةٌ شـــرقًـــا تـــهـــيـــم ومـــغـــربًـــا
تَـــهْـــيـــامَ لا وانٍ ولا وقّـــــاف
هـامـت طـويـلاً مـا استـقـر بـهـا الـنـوى
إلا بـســاحـل لجّـــك الـــرّجـــاف
تـخـذتـك خـنـدقَـهـا المـمّـــلأَ، دونـــه
جـيـشٌ مـن الـتـشـهـيـر والإرجـــــاف
يـا حـسـنَ مـائـك لازوردًا أَزرقًـــا
ذا رونـــــقٍ كـالجـوهـر الـشـفّـاف
عـيَـنْـي مـوكّـلـةٌ بـه مـسـحـورةٌ
تـرونـو إلـيـكِ بـنـاظـرٍ مِـسـراف
أبـــدًا تَـــفَـــرّسُ فـي حـشـاك كـأَنـه
يُـطـوَى عـلـى سـرٍّ لـسـحـرك خـافـي
يحكي صـفـاؤُك لـي - كـرؤيـا حـالـمٍ -
عـن كـل مـا فـي هـذه الأَكـنـاف[1]
جـلّـيـتِـهـن فـكـلُّ شـيء لامـعٌ
وشَـفـفْـتـهِـن فـكـل شـيء طـاف[2]
رقـصـت بصـفـحـتك الـرُّبـى وتـخـايـلـت
شـمُّ الجـبـال عـلـيـك كـالأَطـيـاف
وبـدا الـرَّبـابُ عـلـيك بِـيـضَ مـلائـكٍ
تـهـفـو بـأَجـنـحـةٍ لـهـن لـطـاف[3]
وتـــراءَتِ الجـنَّـاتُ فـيـك وأَصـلـهـا
فـي ضـفَّـتـيْـك شـوابـكَ الأَطـــراف

(1) حكى عنه: حدث عن.
(2) شفه: أنحله ورققه.
(3) الرباب: السحاب الأبيض.

لـلـه أَنـتِ، بـكـل ركـنٍ آيـةٌ
تُحْـيِـي يـقـيَن المـلـحـد المـتـجـافـي
لَـوَدِدْتُ، أَحـيـا فـي ضـفـافـك مُـخْـلَـدًا
بـعـضُ الحـيـاة هـنـا خـلـودٌ كـاف
لَـوَدِدْتُ، لـولا أَن عَـوْدِيَ مُـعْـجَـلٌ
نـادَى بـه داعـي الـهـوى المـتـلاف
نـادَت بـه زوجـي هـنـاك ضـجـيـعـةً
فـي أَرض وادي الـنـيـل كـالأَضـيـاف

☆☆☆☆

يـا أَرضَ إِيطـالـيـا الـوادعَ عـلـى الـهـوى
والـودِّ والـتـقـديـر والإِنـصـاف
أَرضَ الـطـبـيـعـة كـالجـنـان تـعـرّضـتْ
فـي الحُـلـم أَلـطـافًـا عـلـى أَلـطـاف
أَرضَ الـفـنـون تجـمَّـعـت آيـاتُـهـا
كـالـشُّـهـب آلافًـا عـلـى آلاف
لـك مـن طـبـيـعـتـك الجـمـيـلـة غُـنْـيـةٌ
عـن عـسـجـدِ الـلَّـبّـات والأَشـنـاف[1]
ومِـنَ الـفـنـون إِذا دهـتـك كـريـهـةٌ
يـنـبـوعُ سـحـرٍ مـن جـراحـك شـافـي

✱✱✱✱

(1) اللبات: جمع لَبة، وهي موضع القلادة من الصدر. الأشناف: جمع شنف، وهو ما علق في الأذن من الحلي.

رجعة المسافر[1]

وقفة على القبر

[من الكامل]

نـــورَ الـعـيـون وفـلـــذةَ الأَكـبـــادِ
مـا زلـــتِ بَـعْـدُ رهـــيَن ذاك الـــوادي
مـا زلـــتِ مُـــذْ غـــودرتِ ثَـــمَّ ضجيعةً
يصحـو الـرُّقـودُ وأَنـــتِ حِـلْـفُ رُقـاد
طـوّفـتُ فـي الآفـــاق بـعـدك هـائـمًـا
فـي الـبـحـر، فـي الأَوهـــاد، فـي الأَنجـاد
وسـعـيـتُ لـلـفـن الجـمـيـل بـأَرضـهِ
لـلـنـقـش، لـلـتـصـويـر، لـلإِنـشـاد
مـا انـطـاعَ لـي الـسـلـوانُ عـنـكِ هنيهةً
كـــلا، ولا خـلَّـى هـــواك مـــقـــادي[2]
وعـــرفـــتُ أَصـــنـــاف الخـــرائـــد لاهـيًـا
مـا حـرّكـتْ أنـثـى صـمـيـمَ فـــؤَادي[3]
يـا لـيـتَ بُـعْـدي فـي الـبـلاد مُـطـوِّفًـا
ومـــزيـــدَ تجـريـبـي ومُـــبْـــدَل عـــادي[4]

---

(1) مجلة الكاتب المصري – أبريل 1948.
نشرت بعنوان: خاتمة المطاف – رجعة المسافر(م).
(2) انطاع: خضع وانقاد (م).
(3) الخرائد جمع خريدة: الفتاة العذراء (م).
(4) عاد: عادات، جمع عادة.

وطـويـلَ تَحْـنـانـي وحَـرَّ تـشـوّقـي
لمـزار قـبـرك بـعـد طـول بِـعـاد
سَـلَّـتْ مـن الحـزن المـبـرِّح بَـرْحَـه
وهَـدتْ ضـلالـي فـي الأَسـى وعـنـادي
فـأَرى بـكـاءً فـوق قـبـرِك شـافـيًـا
وأَرى عـزاءً أَن حـوَتْـكِ بـلادي

✱✱✱✱

ثـانـيًـا: من مراثي
الزوجة الإيطالية «مـاري كـانيلا»

صورة زوجة الشاعر الإيطالية ماري كانيلا.

الصرخة الأُولى[1]

[من الرمل المجزوء]

(هي أولى صرخات الشاعر، بل - في عبارة أدق - أولى أنّاته، نظمها في استحكام يأسه، وتضعضع حسه، وانهداد قواه، بعد ليلة من مصابه في زوجته الشابة المثقفة، طيبة الخلق، شريكة حياته، ورفيقة دراساته).

كـــان لـــي فـــي أُخْـــرَيـــات الـــ
عُـــمْـــرِ بـــيـــتٌ فـــعَـــدِمـــتُـــهْ
ســـنـــواتٌ أربـــعٌ؟ أمْ
كـــان ذا حُـــلْـــمًـــا حَـــلـــمْـــتُـــه
لـــيـــتـــه طـــال، ولـــو طـــا
ل لمـــا كـــنـــتُ ســـئـــمـــتـــه
زوجـــتـــي صِـــنْـــوى، ومـــالـــي
غـــيـــرَهـــا صِـــنْـــوٌ عَـــلِـــمْـــتُـــه[2]
هـــي لـــم تَـــنْـــقِـــمْ عـــلـــى نـــقـــ
صـــي، ولا شـــيءَ نَـــقَـــمْـــتُـــه
هَـــمُّـــهـــا هَـــمِّـــي، فـــلا تَـــعْـــ
زِمُ إلا مـــا عَـــزَمْـــتُـــه

(1) (تزوج الشاعر من ماري كانيلا الإيطالية الأصل، المصرية المولد في فبراير 1940، ثم توفيت في 30 يناير 1945، والقصيدة أول ما كتب في رثائها.
- نشرت في مجلة الثقافة، العدد (320) 1945/2/13، بعنوان: (دمعة الزوج الثاكل).

(2) صنو جمعه صنوان: نظير ومثيل، وفي التنزيل (وجناتٌ من أعناب وزرعٌ ونخيلٌ صِنوانٌ وغيرُ صنوان) الرعد:4 (م).

هـــمُّـــنـــا الـــــــــدرسُ، ومـــا
تَـــفـــهـــمـــه مـــنـــه فـــهْـــمـــتُـــه
نَـــظَـــمَـــتْ بـــالـــعـــطـــف والـــتـــفـــ
كـــيـــر عـــيـــشـــي ونَـــظَـــمْـــتُـــه
وارتـــضـــيـــنـــا مِـــــن لِـــقـــانـــا
عِـــــوَضًـــــا عـــمّـــا حُـــرِمـــتـــه
بـــــرهـــــةً وانـــتـــبـــه الـــدهْـــ
رُ فـــعَـــفَّـــى مـــا رَسَـــمـــتـــه[1]
أتـــــــرَى الـــــرضـــــوانَ ذنـــبًـــا
أَثِـــمَـــتْـــهُ وأَثِـــمْـــتُـــه؟[2]
أحَـــــــــرامٌ أن ســـعِـــدنـــا؟
أم خَـــبـــالٌ مـــا زَعَـــمـــتـــه؟
كـــــلُّ مـــا أَعْـــــــــرِفُ أَنـــي
كـــــان لـــي بـــيـــتٌ عَـــدِمْـــتُـــه

****

(1) عفَّى: محا، وعفت الريح الأثر أي: أزالته ومحته (م).
(2) الرضوان كالرضا مصدر رضي(م).

الواقعة[1]

[من الطويل]

أتى العامُ، فاستبشرتُ بالعام يَطْرُقُ
وقُلْتُ كما قالت: سعيدٌ موفَّقُ
فلم يَمْضِ بعضُ الشهر إلا تبادرتْ
غواشي نذيرٍ كالغياهب تُطبق[2]
أَلَمَّتْ بها الحمَّى عُضالًا ملحَّةً
تُقِضُّ وسادَيْنا معًا وتؤرِّق[3]
فتصْهَدُ منها جِسمَها ودماغَها
وتصهدُ قلبي من لَظاها وتُحرِق
دعوتُ لها الأفذاذَ في الطب، جملةً
وشتى، ومَن غَرْبٌ نَمَاهُ ومَشْرِق
فلَم يَأتَلُوا جهدًا ولا وجهَ حيلةٍ
وقد سَوّروا دون الظنون وخَنْدَقوا
نهاريَ حيرانٌ، أُلاقي أُساتَها،[4]
وأُرسل في إثْر الدواءِ، وألْحَق
وليليَ سهرانٌ لصيقَ فِراشها
أُراعي إلى أنفاسها وأُحَمْلِق

(1) مجلة الثقافة – العدد (320) 1945/2/13.
(2) الغياهب: الظلمات.
(3) أقض مضجعه خشنه، كناية عن القلق(م).
(4) الأساة: جمع الآسي وهو الطبيب.

تـقـول بـصـوتٍ قـد تـهـضّـمـه الـضـنـى
وأَجْـهـشَ حـتـى مـا يُـبَـيِّنُ منطق[1]
«أَأُشـفـى؟» أجَـلْ يـا قُـرَّةَ الـعـين لا تـهِـي
ولا تـجـزعـي، إن الـشـفـاءَ مـحـقـق»
مـقـالـة مُـلْـتـاعِ الجَـنـان أَقـولـهـا
وبـين الـرجـا والـيـأَسِ قـلـبـيَ مُرْهَق[2]
وتـرمـقـنـي مـنـهـا لـواحـظُ وامـقٍ[3]
تجـلّـى هـواه كـلّـه حـين يـرمـق
نُجـرّعـهـا مـرّ الـدواءِ تُـسـيـغُـه
ونـاظـرُهـا فـي نـاظـريَّ مـعـلَّـق
ونُـنـحـي عـلـيـهـا إبـرةً بـعـد إبـرةٍ
فـتَـرْضَـى، وهـذا جـلـدهـا يـتـخـرَّق
تـريـد لِـتَـحْـيـا، مِـن رضـاهـا بصحبتي،
ولـولايَ مـا كـانـت مـن المـوت تَـفْـرَق
وتحـرص أن تـبـدو كـعـهـدي جـمـيـلةً
يُطالعني منها - على السقم - رونق
تـعـرَّقْـتَـهـا يـا داءُ مـا شـئـتَ جـاهـدًا
ولـكـنّ حسـنَ الـروح فـي الـوجـه مشرق[4]
إذا عُـرَواءُ الـداءِ فـارت بـرأَسـهـا
فـليستْ -من الرجحان - تـهـذي وتَحْمُق[5]

(1) تهضّمه: كسره وأذله.
(2) قصر الاسم المدود «الرجاء» فصار «الرجا» (م).
(3) وامق: محب (م).
(4) تعرقها: أخذ ما عليها من اللحم.
(5) العرواء: مسّ الحمى.

ولكن قُصارها إذا اشتد بَرْحُها:

«أيا ربِّ! لا أَقوى» بلحنٍ يمزِّق

تُرَدِّدُ «لا» في كل حينٍ أَبِيَّةً،

وعَيْشُ الضنى بالرفض أَحجى وأَليق

ويُغضبها أنيِّ – وقد ساءَ حالُها –

على النفس من شُغْلي بها لستُ أُشْفق

وتلمِس أردانـي[1]، وتلهو بأَصبعي،

وتَضغط كفّي كفُّها وهي أرفق

وتُوسعني لثمًا، وتَمسحُ خدَّها

بخدّي وكلٌّ بالدموعَيْنِ مُغْرَق

وما نَسِيَتْني في سُباتٍ وصحوةٍ

وقد ذكرتني وهي في النزع تَشهَق

إلى أن تَغَشَّتْها من الموتِ صَرْعةٌ

مُجَدِّلةٌ، والموتُ سهمٌ مُفوَّق[2]

فغاضتْ كما غاض الربيعُ، وإنما

ربيعيَ بعدَ اليوم هيهاتَ يورق

شريكةَ درسي! تلك أسفارُ مكتبي

خَرَسْنَ وكانت في جِوارك تَنْطِق

فما لي إلى الأسفارِ بعْدَك نهضةٌ

ولا متعةٌ فيما يَشوق ويونق

وكنتِ جعلتِ الفقرَ حوليَ جنَّةً

وقام من الفوضى نظامٌ مُنَسَّق

(1) أردان جمع رُدن كُم الثوب (م).

(2) جدّله: رماه بالأرض فارتمي.

فـخـلَّـفْـتِ فـي بـيـتـي سـرابًـا بِقِيعةٍ[1]

صِـوانـكِ بـالأبـراد والحَـلْـيِ يَبْرُق[2]

أُفـكـر فـيـمـا صِـــرْتِـــهِ، فـيُـجَـنُّ بـي

جـنـون إلـــى تـخـلـيـدِ ذكـــرك مُـقـلـق

أقـمـتُ لـكِ الأشـعـارَ نُصْبًا[3] ومـن يكن

كـمـثـلـك عِـلـمًـا فـهـو بـالـشـعـر أخْـلَـق

فـقـدتُـك يـا إِلْـــفِـــي، وكُـنَّـا كـأنمـا

عَـرَفْـتُـكِ مُـذْ خَـلْـقـي ومِـن قَـبْـلِ نُخْلَق[4]

وأنـظَـمُ شـمـلٍ كـان فـي الخَـلْـق شَـمْـلُـنـا

فـيـا بـــؤَسَ أن يـعـدو عـلـيـه الـتـفـرّق

صَـريـعـانِ مِـن صَـــدْع الـفِـراقِ، وهـكذا

يُـجَـازَى لـدى الـدنـيـا الـهـوى والـتـعـلُّق

وإنـــي لـــذو صـبـرٍ، ولـــولاه لـم أكـن

على الأرض حيًّا - بعد موتكِ - أُرْزَق

****

(1) قيعة: جمع قاع وهو الأرض المطمئنة قد انفرجت عنه الجبال والآكام.
- والصورة مستوحاة من قوله تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه) النور: 39(م).

(2) الصوان: خزانة الثياب.

(3) النُصب: الشيء المنصوب من رخام وغيره.
وفي ط1/ ص9 كانت «التذكار» بدل «الأشعار».

(4) وفي البيت ظلال من معنى سبق إليه، يقول قيس بن ذُريح:
تعلّق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نِطافًا، وفي المهد
(ديوانه عناية وشرح عبد الرحمن المصطاوي، ص72)(م).

في الوحدة[1]

[من الطويل]

تَـعَـجَّـبَ هـذا الـنـاسُ أنْ لـسـتُ أنْقِمُ[2]
عـلـى وَحْـدتـي فـيـهـم، وأن لـسـتُ أَسـأَمُ
ومـا وحْـدتـي؟ إنـي أعـيـش وزوجـتـي
وإن غـالـهـا بـاغٍ مـن المـوت مـجـرم
أعـيـش وزوجـي خـالـيَـيْن، ألـم يكن
هـواهـا بـأن نـخـلـو مـعًـا نـتـكـلـم
أمـا هَـمـسـتْ فـي الـنـزع: «كـنـتُ سـعـيـدةً
وكـان المُـنَـى أنـي بـقـربـكَ أَهْـرَم»!
أعـيـش وذكـراهـا - ويـا طـيـبَ ذكـرهـا -
أُفـكـر فـيـهـا كـلَّ حـيـنٍ، وأَنْـظِـم
أُوَاجِـهُ آلامـي، فـإمّـا قَـتَـلْـنـنـي
فـإنْ أبـطـأَتْ أَبْـقَـى، ويَـبْـقَـى الـتـألَـم
إذا انـتـظـم المـعـنـى بـبـيـت أعـدتُـهُ
فـجـاوبـه دمـعٌ ونـارٌ تَـضـرَّم
لـنـفـسـيَ أرثـي حـين أسـمـع عَـوْلَـتـي
وأُلـفـي بـلائـي هَـوْلُـهُ يـتـجـسّـم

(1) نشرت في مجلة الثقافة - العدد (322) 1945/2/27.

(2) نَقَم ينقِم: أنكره وعابه، وفي التنزيل: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله﴾ [المائدة: 59] (م).

يضيق فضاءُ الله بي وَهْو واسعٌ
ويَسْوَدُّ في عَيْنِي السَّنَى فهو مظلم
مواكبُ أفراحِ الحياة تمرُّ بي
وغيري الذي يهفو لها ويُيمِّم
تضِجُّ دواعيها، وتبرق بالحُلَى
ولكنني أَعمى أصمُّ محطَّم
وما مُتْعَةٌ إلا عَدِمْتُ مذاقَها
ولا لَهْوَ إلا وَهْو عندي محرَّم
فكلُّ لذيذٍ في لَهاتيَ عَلْقَمُ
وكل شهيّ في حشاي مسمَّم[1]
وما ذاك إلا أن حبَّك غالبٌ
وقدرَك في نفسي أَجَلُّ وأَقوَم
وكيف سُلُوِّي عنك، أنت عظيمةٌ
وأنت بقلبي فوق ذلك أعظم
أفِي حَيْثُما أَرسلتُ طرفي وخاطري
يُذَكِّرُنِيها خاطرٌ وتوسُّم
يُذَكِّرُنِيها العلمُ والفنُّ والهوى
ولطفُ الحواشي والشبابُ المنعَّم[2]
وكلُّ جليلٍ أو جميلٍ، وكلُّ ما
له في صميم القلب والعقل مِيسَم[3]
فقد كان لي منها الزميلُ المكرِّم
وقد كان لي فيها الحبيبُ المتيَّم

(1) اللهاة: كناية عن الحلق.
(2) لطف الحواشي: لطف الصحبة، والكلام اللين (م).
(3) الميسم: أثر الحسن والجمال (م).

وأَذكـــــرُ فـــي لـــيـــلٍ أطـلـــتُ تـغـيُّـبـي
إذا هـــيَ كـالـثـكـلـى وبـيـتـيَ مـأتم
يُـهَـدِّئُـهـا الأهـلـون - أهـلـي - تَـعَـقُّـلا
ولـكـنـهـا مـجـنـونـةُ الـقـلـب تَـلْـطِـم
بـكـاءٌ كـمـا لـم يَـبْـك إلـــفٌ أليـفَـه
ويـخـنـقـهـا مـنـه الـنـشـيـجُ المُكتَّم[1]
ولـــمّـا رأتـنـي جـئـتُ جُـــنَّ جـنـونُـهـا
وزاد ارفـضـاضُ الـدمـعِ، والـعـين تَبْسِم[2]
وتَـعـتِـبُ فـي رفـــقٍ، وتمـسَـحُ مَـنْـكبي
وتـلـمـسُ أوصـــالـــي كـمَـن يـتـسلَّم
فـمـا أبْـكِ لا أُنْـصِـفـكِ - أنـت بكيتني
وأَبـــكـــاك لا مـــوتٌ ولـكـن تَـوَهُّـم
فـــأَخـــوَفُ مـا تَـخـشَـيْن كـان منيَّتي
ومـا كـنـتِ فـي عُـــدْمٍ ولا أنـا مُـعْـدِم
وكـم دعـــوةٍ أن تَسْبِقيني إلـى الـردى
وكـــان دعـائـي أن رَدايَ المـقـدَّم
فـيـا تَـعْـسَ حظي أن تُـؤَجَّـل دعوتي
وأن تـتـردَّى فـي الـتـراب وأسلم[3]
أُدافِـــع عـنـكِ المـــوتَ وَهْـــو مـصـمِّـمُ
وهـــأَنـــذا فـي آخـــر الأمـــر أُهْـــزَم

(1) نشج نشيجًا: غص بالبكاء من غير انتحاب.
(2) ارفض الدمع ارفضاضًا: سال وترشش.
(3) تردى: سقط (م).

شـقـيـقـةُ نـفـسـي! إنّ نـفـسـي يـتـيـمـةٌ
وثـاكـلـةٌ - مـن بَـعْـدِ فـقْـدِكِ - أَيم[1]
فـلا تَـدَعـى ذكـراك تَـبْـرَحُ خـاطـري
أو ادْعِـى بمـوتـي، فـهـو بَـعْـدَك مَـغْـنَـم
سـأَحـيـا كـمـيْـتٍ لـم يُـغـيَّـبْ بـلـحـدِه
يُـظـلّـلـنـي لـيـلٌ مـن الـهـمِّ أَيْـهَـم[2]
وأضـربُ فـي صَـحْـرايَ فـي غـيـر غـايـةٍ
إلـى أن يـوافـيـنـي الـقـضـاءُ المحـتَّـم

✱✱✱✱

(1) اليتيم: من فقد والديه. الثاكل: من فقد ولده. الأيم: من فقد زوجه (م).
(2) الليل الأيهم: الذي لا نجم فيه (م).

طريقي[1]

[من الطويل]

طريقي إلى بيتي؟ نَعِمْتَ، طريقي
إلى خيرِ محبوبٍ وخيرِ رفيق
طريقي إلى دنيا غرامٍ ونشوةٍ
وفردوسِ أرضٍ، ناضرٍ وأَنيق
وهيكل تفكيري، وقُدْسِ عبادتي،
وآيةِ توفيقي، وكَنزِ حقوقي
تَقَلَّبْتَ في عيني كريهًا مُعَبِّسًا
وكنتَ تَلَقَّاني بوجهٍ طليق
شُجَيْراتُك اللفَّاءُ تُقْعِي كأَنها
أَفاعٍ على أَذنابِها بمضيق[2]
نهارُك مغبرٌّ، وشمْسُك سَمْجةٌ
كأَنَّ شروقًا فيك غيرُ شروق
كذا أنتَ مُذْ جازت سَراتَكَ في الضحى
جنازةُ زوجي، زوجتي وصديقي[3]
تسير وئيدًا للتراب، وخلفَها
أَنا الأَرمَلُ الباكي أُجرِّر سوقي[4]

(1) نشرت في مجلة الرسالة – العدد (610) 1945/3/12.
(2) اللفاء: الملتفة. تقعي: تجلس على أذنابها.
(3) سراة الطريق: متنه وأعلاه.
(4) وئيدًا: في تؤدة. يجرره: يجره شديدًا، سوق: جمع ساق.

طريقي! لقد جَارَتْكَ أيامَ أُنْسِنا
بخَطْوٍ لها حُلْوِ الأَناة رشيق
فما لك، قد مرَّتْ حَمِيلًا بنعشها
عليكَ فما زُلْزِلتَ غيرَ مُطيق[1]
طريقي! وما زلتَ الطريقَ، وإنما
إلى وَحدتي من بعدها وحريقي
إلى البيت مبناه، وأما صميمه
فكالقبر مكشوفًا وغيرَ سحيق
طريقي، طريقي، كلُّ دُورِك ظُلْمَةٌ
بغير بريقٍ، وَهْي ذاتُ بريق
إذا سرْتُ فيك اليوم سرْتُ كأنني
جَنازتُها نحو الحِمامِ طرُوقي
قَطَعْتَ، فأَوْصلْ شائقًا بمشوق
وإلّا، فَتعْسًا لي، وتَعْسَ طريقي

****

(1) حميلًا: محمولة.

في البيت[1]

[من الطويل]

أيـا غُـرْفَـةً مـرمـوقـةً لِـصْـقَ غرفـتـي
مُـطَـفَّـأَةَ الأَنـوار رَهْـنًـا بـظُـلـمـةِ
أَرى بـابَـكِ المـطـروقَ بـالأَمـس مـوصَـدًا
ومَـخْـدَعُ زَوجـي أنـتِ، بـل أنـتِ جَنتي
فـأَدعـو بـزوجـي وهـي جِـدُّ سـمـيـعـةٍ
لأَمـري، ولـكـن الـصَّـدَى رَجْـعُ دعـوتـي
لقد كنت يا زوجـي لـدى الصبح مُوقظي
وكـنـتِ حسـيـبـي فـي خـروجـي وأَوبـتـي
فـمـا لـيَ لا أَلـقـاكِ يـومـي ولـيـلـتـي
وبـابُـك مـن بـابـي عـلـى قِـيـد خُـطْـوةِ
أرى من خِـلال السَّـجْـفِ نـورًا مشـعْشَـعًا
من الشمس لكن لا أَرى شمس مهجتي[2]
وأسـمـعُ لـلأَطـيـار تـزقـو كـمـا زَقَـتْ
ولـلـوُرْق تُـزجـي سـجـعـةً بـعـد سجعة[3]
فـأَيـن فُـتَـاتُ الخـبـز تُـلـقـيـنـه لـهـا
فـيَـنْـقُـرْن مـنـهـا حَـبَّـةً إثـر حَبّة[4]

(1) الرسالة – العدد (612) 1945/3/26.
(2) السجف: الستران دونهما فرجة. المشعشع: المزوج المخفف، وشعشعت الشمس: انتشر ضوؤها.
(3) زقا الطائر: صاح. الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة. يزجي: يرسل.
(4) في قوله حبة إثر حبة: تشبيه للفتات بالحبة في استدارتها وصغرها.

عَـرَفْـنَ أَوانَ الأَكـل فَـهْـي كعهدها
تَـــراءَى صُـفـوفًـا فـوق سُـــورٍ وأَيـكـة
تَـأَلَّـفْـتِـهـا يـا إِلْـــفَ قلـبـي وأُنْـسَـه
فـمـا لـيَ فـي هـذا الحِـمَـى نَـهْـبَ وَحْـشـة!
أَلا تسأَليني كيف أصبحتُ في الضحى
وتَـرْجـين لـي طيـبَ الـكرى فـي العشيّة[1]
عَـهـدْتـك لا أَلْـقـاكِ حـتـى تَـزَيَّـنـي
أَلَـمْ تَـفْـرُغِـي لـي مـن حُـلِـيٍّ وزيـنـة
شـريكةَ عيشي، أَسفـر الـصبحُ فاطْلعِي
أَعِـــدِّي فَـطـوري وانـتـقـي لـيَ حُـلَّـتـي
مـكـانُـكِ خـالٍ فـي الخِـــوان فـأَقبِـلـي
فـيَـهْـنـا طـعـامـي مـن حـديـثٍ وطلعةِ[2]
وإنـــي لـغـادٍ لـلـخـروج كـعـادتـي
فـأَيـن وَداعـــي بـالـوصـيـدِ وقُـبْـلـتـي
أَغَـضْـبَـى بـلا ذنـبٍ وفـي غـيـر مَـغْـضَـبٍ
وأنـت الـرِّضـا والـصـفـحُ عـن كـل زَلَّـة؟
وكـنـتُ أَعـــزَّ الـنـاس عـنـدَك بـرهـةً
أَهُـنْـتُ عـلـيك الـيـومَ مـن بـعـد عِـزَّة؟
مـعـاذَ الـهـوى! مـا إن صـمـدتِ لجفوةٍ
ولـكـنـه حـكـمُ الـقـضـاءِ المشـتِّـت
نَـــأَى بـك عـنِّـي لـلـمـنـيّـة غـائـلٌ
ولـــولا المـنـايـا مـا سـكـنـتِ لِـفُـرْقـتـي

(1) نون الرفع في (تسأليني) مقدرة قبل نون الوقاية نحو قولهم: هل تكرموني، وأصله هل تكرمونني.
(2) الخوان بضم الخاء وكسرها: مائدة الطعام وخفف همزة (يهنأ) لضرورة الوزن (م).

فـأَعـدَمـنـي بـيـتـي وعـيـشـي وَجَـنَّـتـي
وكـانـت هـنـا فـي غـرفـةٍ لِـصْـقَ غرفتي
أَمُـــرُّ فـــأَزْوِي الـطـرفَ عـنـهـا تـأَلـمًـا
وكـــان إلـيـهـا مـا مـــررتُ تَلَفُّتي[1]
ويـفـجـؤنـي أن يَـفـتـحَ الـبـاب فـاتحٌ
كـأَنْ كشَف اللـحَّـادُ عـن جـوف حُفْرة[2]
أُطامن صوتي - إن همستُ - محاذرًا
وأَحـبِـس أَنـفـاسـي وأَخـلِـس مشيتي[3]
ومـا بـي حِـــذارٌ أن أُنـبِّـه هـاجـعًـا
ويـا لـيـتَ يصحو المـيْـتُ مـن بـعد هجعة
ولـكـنْ مـزيـجٌ تـــارةً مـن تَـهَـيُّـبٍ
وخـــوفٍ، وطـــورًا مـن خُـشـوع وحُـرْمـة
ووالـلـــه لا أدري أَتـفـكـيـرُ عـاقـلٍ
أُفـكِّـرُ؟ أم هـذي سَـمـاديـرُ جِنَّة[4]

****

(1) يزوي الطرف عن الشيء: يصرفه عنه.
(2) اللحاد: حفار القبور.
(3) طامن صوته: خفضه.
(4) السمادير: شيء يتراءى للإنسان عن السكر وغشى الدوار وما أشبه ذلك. الجنة: الجنون.

حيرة[1]

[من الطويل]

أَأَهْـــرُبُ مـن ذكـــراكِ أم لـستُ أَهْـــرُبُ
وهـــل مـــن وفـــاءٍ أَن يُـــجَـــنّ المـــعـــذَّبُ؟
أَأَتـــــرك هـــذا الـبـيـتَ قـد كـان عُشَّـنـا
وكُـنَّـا بـه الإِلـفـيْنِ والأَرْضُ مَـعْـشَـب
تُـنـاغـيـنـنـي بـالحـب والـكُـتْـب وحـدَنـا
فـمـغْـنـاك مـن هـذَيْـن مَـغْـنًـى ومكتب[2]
أَأَتـــركـــه تـــركَ الـــطـــريـــد، كـــآدمٍ؟
ويـــا لـيـت أَنِّـــي ذلـك الـــزوجُ والأَب
طـريـدٌ ولا حَـــوّاءَ تُـــبْـــدِلُ جَـنَّـتـي
بـأُخـرى، فـحـوّائـي قَـضَـتْ قـبـلَ تُـنْـجِـب
أَوَ ابْـقـى أُوفِّـــي ذكـريـاتـكِ حقَّـها
أُحَـيِّـي الـصِّـبَـا والـعـلـمَ فـيك وأَنـــدُب؟[3]
هـنـا عـالَـمُ الأُنْـثـى، ثـيـابٌ وزيـنـةٌ
يُـكـظُّ بـهـا تـخْـتٌ ويـــزدان مِشْجَب[4]
أَرى الْمِـعْـطَـفَ الـشـاتـي تَـريـكًـا، وطـالـمـا
أَفـاض عـلـيـه الحـسـنَ عِـطْـفٌ ومَنْكِبُ[5]

(1) الرسالة – العدد (615) 1945/4/19.
(2) المغنى: المنزل.
(3) وصل همزة القطع في (أو أبقى) لضرورة الوزن (م).
(4) التخت: خزانة الثياب. المشجب: خشبات موثقة توضع عليها الثياب (الشماعة).
(5) المعطف الشاتي، أي: معطف الشتاء. التريك: المتروك. العطف: الجانب والخصر. المنكب: الكتف.

ويـا رَبِّ، هـذا الـثـوبُ حُـلَّـةُ سَـهْـرَةٍ
وكـــان عـلـيـه الـعـــزمُ لـــولا المـغـيَّـب
وأَلْمَـــــحُ مِـــــرآةَ الجـمـيـلـةِ عـنـدهـا
تَـفَـانـيْنُ حَـلْـــيٍ: بَـــهْـــرَجٌ ومُـذَهَّـــبُ
وثَـــمَّ قـــواريـــرٌ تَـــضـــوّع عَـرْفُـهـا
قـــواريـــرُ كـانـت لـي بـهـا تـتـطـيَّـب
هـنـا الـطِّـيـبُ والأَبـــرادُ والحَـلْـيُ كلهُ
فـــأَيـــنَ الـتـي كـانـت بـهـا تَـتَـحَـبَّـبُ
إِلـى أَيـن أَمـضِـي عـنكَ يـا طيفَ زوجتي
أَلـيس إلـى الـسَّـلْـوَى مـجـازٌ ومَـهْـرَبُ؟!
وأَمـضِـي أُسَـــرِّي مـن خـبـالـي - وإِنّـنـي
لأُشـفـق مـن هـــذا الخـبـال وأَعْـجـب
إِلـى شُـرفـتـي هـذي، ويـا حُـسْـنَ شُـرْفـتـي
عـلـى الـنِّـيـل تِـبْـرًا تحـتـهـا يتسبسبُ[1]
كـأَنْ قـد خَـلَـتْ مـن مـجـلسٍ ضـمّ شَـمْـلَـنـا
ومـــا إِن خـــلا مـنـكِ المـكـانُ المحـبَّـب
أَأَنـسَـى الـتـنـاجِـي فـي الأَصـائـل عـنـدهـا
وبـــالأُفُـــق الـغـربـيّ نـــارٌ تَـلَـهَّـب
نُـتـابـع مـــاءَ الـنـهـر يـنـسـاب حـالـمًـا
ونـحـن مـع الأَحـــلام نـطـفـو ونَـرسُـب
مَـنَـاظـرُ قـد كـانـت، فـبـاخ ضـيـاؤهـا
وغـــام عـلـيـهـا دَمْـــعـــيَ المـتـصـبِّـب

(1) يتسبسب: يسيل.

فـلا حُـسْـنَ، كـلُّ الحسـن كـان بمهجتي،
وقـد كـان منك الـفـيـضُ، فـالآن يَـنْـضُـب
إلـى أَيـن أَمـضـي عنك فـي الـكون ساليًا
وظـلـك فـــوق الـــكـــون غـــاشٍ مـحـجِّـب
وأَفـــزع لـلأَسـفـار فـي جـوف مكتبي
تَجَـــاورَ مـنـهـا أَعـجـمـيٌّ ومُـــعْـــرِبُ
إلـــيَّ جـمـيـعًـا، بـالـتـعـازيم والـرُّقَـى!
فَـبـي طـعـنـةٌ مـسـمـومـةٌ لا تُـطَـبَّـب
أَفـيـكـنَّ مـن جُـــرْح الحـيـاة مـخَـدِّرٌ
أَفـيـكـنّ أفـيـــونٌ، أَفـيـكـنّ قِـنَّـب؟
فـمـا حـاجـتـي عـلـمٌ وشـعـرٌ وحـكـمـةٌ،
وكـيـف، ويـومـي مُـسْـتـطـارٌ عَصَبْصَبُ[1]
وكـيـف، وكـل الـعـلـم مُـذِكـرنـي بـهـا
أَلـــم تـك تُـغـرَى بـالـعـلـوم وتـطـلـب؟!
وكـيـف، وهـــذا الـشـعـرُ كـان نشيدَنا
وذي صـفـحـةٌ لـلـفـنِّ كُـنَّـا نُـقـلِّـب
وهـــذي تـــواريـــخُ، وتـلـك مـشـاهـدٌ
عـبـرنـا بـهـا سِـيَّـانِ شَـــرْقٌ ومَـغْـرِبُ
وتمـتـدّ كـفّـي نـحـو سِـفْـرٍ أُريـــده
فـتـرجـع كـالـمـلـدوغ مـسَّـتـه عـقـرب
فـهـذا كـتـابـي، ربِّ! هـــذا كـتـابـهـا
قـــرأَنـــاه نـسـتـقـصـي مـعًـا ونُـنَـقِّـب

(1) العصبصب: اليوم الشديد.

أَفـانـين بـحـثٍ أَو مـتـونُ تَـفَـلـسُـفٍ
بـهـنّ حَـــوَاشٍ، وَهْـــيَ ذاك المـعـقِّـب
أَيـا زوجـتـي، قـد كـنـتِ حـافـظَ مكتبي،
وقـــارئـــه قـبـلـي، ونِـــعْـــمَ المـرتِّـب
لمـن أَسـتـجـدّ الـكُـتْـبَ فـي كـل مطلبٍ
وقـد كـنـتِ لا يـعـدو اهـتـمـامَـك مطلب
فـكم مـن عـلـومٍ كـنـتِ مـن نَـهَـمِ الحِـجَـى
جُـهَـيْـنَـتـهـا، تـرْوَيْـنَ منـهـا وأَنـغَـبُ[1]
تـفـوّقـتِ تحـصـيـلًا وحـسـنَ إفـادةٍ
ولـم تـكـتـبـي يـومًـا وقـد كـنـتُ أكـتـب
وكـنـتِ تـرجِّـين الحـيـاةَ لـتـقـرئـي
إلـى جـانـبـي، والـصِّـنْـوُ للصنو يطرَب
وحـيـدان نـسـتـوحـي الـدفـاتـر علـمَـهـا
صـمـوتـان لا نـلـغـو ولا نـتـغـضَّـب
خـلـونـا، وفـي هـذا الـتـفـرُّد أُنْـسُـنـا
وفـي صمتنا نجـوى الـهـوى والـتـحبّب
ويـا زوجـتـي، كـنـتِ المـدبّـرَ عيشتي
فـعـيـشـي أَهـنـا الـعـيـشِ طُـرًّا وأَطـيـب
حَـرَصـتِ علـى مـالـي، وصُـنْـتِ مُـغَـيَّـبي
وأَخـلـصـتِ لـي فـي الحـبّ والحُـبُّ قُـلَّـب
تـقـومـين فـي شـأَنـي، وَثَـمَّـة خَـادِمـي
وحُـبَّ مـن الـزوج الـعَـروبِ التعَرُّب[2]

(1) روي: شرب وشبع. ينغب: يحسو جرعة جرعة.
يشبه زوجته بجُهينة، إشارة إلى المثل العربي (وعند جهينة الخبر اليقين)، ويضرب لمن يعرف حقيقة الأمر(م).
(2) حب الشيء، أي: ما أحبه. العروب: الزوجة المتحببة لزوجها.

ومـــا لـــيَ فـــي الأَهـــلـــين بـعـدك عـائـضٌ
ولـــو قـــام منـهـم فـي ركـابـيَ مَوْكِبُ[1]
وتـلـتـاع نـفـسـي إن تَـعَـهَّـدَ مَـلْـبـسـي
سِـــــوَاكِ ووفَّـــانـــي الـــذي أَتـطـلَّـب
أَأَشـــعـــر أَنِّـــي عـــن تـعـهُّـد زوجـتـي
غَـنِـيـتُ، لـقـد آثـــرتُ أَنِّـــي المُـتَـــرَّب[2]
ومـــا بـــيَ مـن سُـخْـفٍ ومـــا بـــيَ جِـنَّـةٌ
ولـكـنـه الحـــبّ الـشـديـد المـــؤرَّب
خـيـالُـك يـا زوجـــي كـظـلِّـيَ إن أسِـــرْ،
وإن أَبْـــقَ، تمـثـالٌ أمـامـي منـصَّـب
خـيـــالُـــك لا أَقـــــوَى عـلـيـه، فـإنـه
– وقد صار جزءًا من حياتي – مُغَلَّب[3]
إلـى أَين أَمضي عنك – لا أَين – زوجتي
فـمـا لِـــيَ غـيـرَ المـــوت بـعـدكِ مَـذْهـبُ

****

(1) العائض: العوض.
(2) المترب: المتلطخ بالتراب.
(3) المغلب هنا: الغالب المحكوم له بالغلبة.

العام والخاص

[من الطويل]

مُصابي الذي قد كان هيهاتَ أَنساهُ
تُطيف برأَسي طولَ يومَيَ ذِكراهُ
أُقلّب كَفِّي كلَّ حينٍ مُحَوْقِلا
ويبلغ إنكاري على الموت أَقصاه[1]
كأَن لم يَمُتْ حيٌّ على الأَرض قبلَها
ولم يَثْوِ مثواها لِداتٌ وأَشباه[2]
أَجَلْ! كان كل الموت لفظًا مكرّرًا
فلما قَضَتْ، حَقَّقتُ في القلب معناه
لكم غاب ناسٌ وافتقدتُ غيابَهم
وكانوا لقلبي مَأْزَمًا فتعدّاه[3]
وهانت خطوبي - وَهْيَ شتّى كثيرةٌ -
على الدهر إلَّا ذلك الخطبَ إلَّاه
يجدّد لي ذِكرَى همومي جميعها
فلا هَمَّ إلا قد أُثيرت بقاياه
ويبعَثُ أَمواتي فحَوْلي وجُوهُهُمْ
أُطالع مِن هذا ومِن ذاكَ سيماه

(1) يحوقل حوقلة: يردد قول «لا حول ولا قوة إلا بالله».
(2) اللدات: جمع لدة وهن الأتراب ومن كان ميلادهم معًا.
(3) مأزم: المصدر الميمي من أزم يقال أزم الدهر عليه إذا اشتد.

فـأَذهـلُ عـن حِـسِّـي، وأُنـكـرُ عـالَـي
كـأَنـيَ فـي حُـلـمٍ، ويـا هـولَ رؤيـاه
شَـهـدْتُ قـريـبًـا مـن قـريـبٍ حـيـاتَـهـا
ومـصـرعَـهـا مـا بـين صـبـحٍ ومسْـاه
فـأَمـسـيـتُ كـالمـشـدوهِ سِـيّـان عـنـدَه
عـديمٌ ومـوجـودٌ تُـعـايـن عيناه[1]
قـد اشـتـبـه الأَمـران فـي حِـسٍّ ثـاكـلٍ
عـمـيـدٍ، تـولاه الأَسـى وتغشّاهُ[2]
فـلا عـالَـمُ الأَحـيـاءِ قـد صَـحَّ مَـحْـياه
ولا عـالـمُ الأَمـواتِ قـد غـاب موتاه[3]
كـأَنـيَ بـين الـعـالَـيْنِ بِـبَـرْزَخٍ
وَأَنِّـيَ طـيـفٌ بـين هـذيـن مَـسْـراه
أُحـدّثُ نـفسـي إن خـلـوتُ مُـسـائِـلا
– وقـد خـاب من كـان الـسؤالُ قُـصـاراه –
أَحـيٌّ؟ فـمـا لـي لا أُحـرّك سـاكـنًـا
إِلـى مَـطـلـبٍ لا حـيَّ إلا تمـنَّـاه
أَمَـيْـتٌ؟ فـمـا لـلـحـزن مـلءُ جـوانـحـي
لـيَ الـويـلُ مـن مـوتٍ خـلا مـن مـزايـاه
فـيـا بـؤسَ حـالـي، لا حـيـاةٌ ولا رَدًى
بـل الـشـرُّ فـي الـحـالَـيـنِ يُـعْـقَـدُ طَـرْفـاه
إِلـهـي! ومـا أَدري مـصـيـريَ بـعـدَهـا
مـن الـيـأْس، إِلا أنَّ قـلـبـيَ يـخـشـاه

(1) المشدوه: المتحير المصدوم.
(2) عميد: شديد الحزن.
(3) محياه: حياته المصدر الميمي من حيو.

سـأَلـتُـكَ - إن عَـزَّ الـسُّـلُـوُّ - تَجَـلُّـدًا
فـيَـطْـوِي فـــؤادي حـزنَـه فـي طـوايـاه
ولا حـــزنَ إلا تَـعـقُـبُ الحـــزنَ سَـلْـوةٌ
وحـزنـي عـلـى الأَيـــام عـمّـق مَـجْـراه
يـنـازعـنـي شـوقـي، فـتَـعْـظُـمُ وَحشَـتـي
إِلـيـهـا، وحـولـي عـالَـمُ الحـسـنِ تـيَّـاه
تـزيـد الـلـيـالـي - لـيـلـةٌ بـعـد لـيـلـةٍ -
ظـلامـي، فـمـا أَدْجَـــى ظـلامـي وأَقَـسـاه
كَـــهَـــاوٍ إلـــى جُـــبٍّ بـغـيـر قـــرارةٍ
يُـــزاد ظـلامًـا كـلـمـا زاد مَـــهـــواه[1]
قـضـى الـلـه هـــذا لا مـــردَّ لحكمه
وكيف اختيارُ العبد فيما قضى الله

****

(1) هاو: ساقط. مهواه: سقوطه.

السلام يا «مريم»[1]

كان الشاعرُ منذُ فجيعته، يتفكر في زوجته كيف كانت في عُشِّها الهانئ الأمين، وكيف صارت مصيرَها الحزين، فيبكي ويتحسر. وكذلك كان الشاعرُ في ذلك اليوم فإذا به يسمع في نفسه فجأةً أصداءَ موسيقى دينية عُلْوية. وإنه ليذكرها فيما سَمِع مع زوجته من القطع الموسيقية الكثيرة. إنها لحنٌ لشوبير. ولكن هذه المقطوعةَ بعينها ذاتُ مغزى في هذه الساعات، ساعاتِ التفكير في الفناء، ولا شيءَ غيرُ الفناء. هنا بكى الزوج وهو يردد عنوانها «السلام يا مريم» لتشابه الأسماء، وهنا بكى الشاعر لموسيقاها الشجية، وهي تدوِّي في أُذنيه، وتتعالى في حلاوتها رائعةً غالبة. ولكن بكاءَ الزوج الشاعر في هذه المرة غيرُه في المرات السابقة؛ إنه يفكر في زوجته الفاضلة الطاهرة روحًا حيَّة في السماء.

وقد انتظمت للشاعر هذه الترتيلة من لحنه، وَسْط أصداء تلك الموسيقى الدينية المنبعثةِ في نفسه:

[من الطويل]

إلـى رُوح زَوجـي فـي رفـيـع الـسـماوات
دعـائـي وتـسـلـيـمـي وأَزكـى تحـيـاتـي
إلـى رُوح زوجـي فـي الخـلـود تَـوجُّـهـي
بـأَخـلـد ذكـرى فـي قـديمٍ وفـي آت
إلى رُوح زوجي في الفراديس مَحْمَدي[2]
عـلـى عـيـشـتـي يـومًـا بـأَكـنـافِ جـنَّـات

(1) في ط1/ 1945: السلام يا «ماري».
(2) محمدي: مصدر ميمي من حمد بمعنى حمدي.

ومـــن أَجـلـهـا تـسـبـيـحـيَ الـلـهَ جـاهـدًا
يـــعـــوِّضُـــهـــا ربِّـــــي عُـــلُـــوًّا وعِـــــزَّةً
وطـــولُ صـلاتـي فـــي نـــهـــاري ولَـيْـلاتـي
بمـا سـاقـهـا بَـــرْحُ الـضـنَـى مـن مـهـانـات
يـــعـــوِّضـــهـــا ربـــــي نـــعـــيـــمًـــا ومُـــتـــعـــةً
بمـا حُـــرِمَـــتْ فـــي أَرضـــنـــا مـــن لـــذاذات
يـــعـــوُّضـــهـــا ربـــــي رضًـــــا وكـــرامـــةً
بمـــا قَـــدَّمـــت مـــن صـــالـــحٍ ومَـــبَـــرَّات
وكـــافـــأَهـــا عـــنِّـــي وفـــــاءً لـــدَيْـــنـــهـــا
عـلـيَّ، فـهـذا الـدَّيْـنُ مـن فـوق طـاقـاتـي
دعـــوتُ لـفـرط الحـــبّ لا عـن شـفـاعـةٍ،
لـقـد غَـنِـيَـتْ فـي نـفـسـهـا عـن شـفـاعـات
فـبـوركـتِ يـا زوجـــي مِـثـالَ طـهـارةٍ،
وعـــنـــوانَ إيـــثـــارٍ، وآيَ قـداسـات

****

الفردوس المفقود[1]

[من الطويل]

بـحـبِّـيَ وحـــدي كـــان قـلـبُـك يـهـتـفُ
ولـــي كـــان مـنـكِ الـنـاظـرُ المتشوِّفُ[2]
وبـــي دون أَهـــل الأَرض أُنـــسُـــكِ كلُّه
كـأَن رحـــابَ الأَرض دونـــيَ صفصف[3]
فـــخـــورٌ عـلـى الـدنـيـا بـــأَنـــكِ زوجـتـي
ومـــا أَنـــا قـــارونٌ ولا أَنـــا يوسف[4]
تـصـبّـاك مـنـي مـا يُـخـيِّـب ذا الـهـوى
ويَـــزْوِي قـلـوبَ الـغـانـيـات ويُصدف[5]
تـصـبَّـاك أَنـــي ذو حـديـثٍ وأَنـــه
عـلـومٌ وفـــنٌّ لا مـــجـــونٌ وزخـــرف
وأَنـــك قـد طـالـعـتِ أَسـفـارَ مكتبي
إذا لـــكِ فـيـهـا حـيـث وقَّـفْـتُ مـوقـف
نـظـرتِ إِشـــاراتـــي هـنـاك وهـــا هـنـا
تحـــدّث عـن أَغـــوار نـفـسـي وتـكـشـف

(1) الرسالة – العدد (631) 6 أغسطس 1945.
(2) المتشوف: المتطلع.
(3) دوني، أي: من غيري. الصفصف: الفلاة.
(4) إشارة إلى غنى قارون وجمال يوسف.
وفي نشرة الرسالة إضافة هامش: يقال: «قارون» و«قارونًا» والنصب على أن «ما» عاملة عند الحجازيين، والرفع على أنها غير عاملة عند غيرهم (م).
(5) تصبّى المرأة: استمالها وفتنها. زوى: أبعد ونحى. يصدفه: يصرفه ويرده.

لـــدى كـــلِّ تـعـقـيـبٍ وكـــلِّ إِشـــارةٍ
تَـصـافـح روحـــانـــا فـكـان الـتـعـرّف
وعـــهـــديَ لـــلأُنـــثـــى مـــــدارٌ، ولـلـفـتـى
مـــدارٌ، ولـــولا الـنـسـلُ مـا كـان مَـأَلـف
فـــوا فـرحـتـا أَن قـد تـعـانـق عـالمـي
وعـالمـهـا، فـالـشـمـل نَـظْـمٌ مـؤلَّـف
ويـا فـرحـتـا أُطـلـقـتُ مـن سـجـن وحـدتـي
فـروحـي مـع الـــروح الأَلـيـف تـرفـرف
تحـلِّـق فـي الآفـــاق طـــورًا، وتـــارةً
نَـسُـفُّ إلـى روض الـغـرام فنقطف[1]
نـضـاعـفُ بـالـكـتـب الحـيـاة، فـحـظُّـنـا
مـن الحـــسِّ والـتـفـكـيـر حـظٌّ مـضـعَّـف
ونَـــعـــرِض لـلـعـقـل الـفـنـونَ فـتـنـجـلـي
ونـــــدرس بـالـقـلـب الـعـلـومَ فـتـلْـطِـف
نمـــارسُ هـذا الـعـيـشَ بـالـقـلـب والحِـجـى
مـعًـا، مثلما طابت على المـزْج قَرْقَف[2]
حـبـيـبـان بـيـن الـكـثْـب عـشٌّ غـرامِـنـا
نـديمـان فـي حـضـن الـهـوى نـتـفـلْـسَـف
نـــذوق كـطـعـم الخـلـد أَعـيـت صـفـاتُـه
بـيـانـي، وطـعـم الخـلـد هـيـهـات يـوصـف
فـــوا حـسـرتـا أَن قـد خـلـدنـا هـنـيـهـةً
هـي الخـلـد لكن من سنا البرق أَخطف[3]

(1) سفَّ الطائر: مر على وجه الأرض.
(2) القرقف: من أسماء الخمر.
(3) أخطف: أسرع.

ويـا حسـرتـا أَنـي إلـى سـجـن وَحـدتـي
رجـعـتُ، وذكـرى الخـلـد بـالـقـلـب تَـعْـنُـف
فـلا الـقـلـب عـن ذكـرى هـواكِ بمُرْعَوٍ[1]
ولا الـدمـعُ عـن سُـقـيْـا ثـراك مكفكَف

✱✱✱✱

(1) مرعو، من ارعوى أي: كف. كفكف الدمع: مسحه مرة بعد مرة.

الورد الأحمر[1]

[من الطويل]

هـو الـــوردُ، لا يـجلـو الـنـواظـرَ كـالـوردِ
لـه حـمـرةُ الـقـانـي مـن الـدم فـي الخـدِّ
أُطـــالـــع مـنـه كـــلَّ حـــمـــراءَ غـضَّـةٍ
تَـــرِفّ بمـا ضَـمَّـت مـن المـاء والـوقـد
فـتضـحـك لـي الـدنـيـا ويُـسـفـر نُـورهـا
ويـنـجـاب عـنـهـا كـل أَدْجَـــنَ مُربَدّ[2]
ويَـسْـكَـرُ حـسِّـي بـالـصـبـابـة والـصـبـا
وأَسـتـافُ حـولـي مـثـلَ رائـحـة الخلد[3]
كـذلـك كـان الـــورد، والـــورد لـم يـزلْ
عـلـى عـهـده، مـا حـالَ وردٌ عـن الـعـهـد
فـيـا تَـعْـسَ نفسي اليوم ما بالها انطوتْ
عـلـى سـلـوةٍ عـنـه بـاتـت عـلـى زهـد
تُجـانـبـه عـيـنـي، فـمـا امـتـدّ لحظها
إِلـــى بـاقـةٍ إلا أَشـاحـتـه عـن قصد[4]
أُوسّـــع مـن حِـمـلاقـهـا وَهْـــو مُـغْـرَق
أُغـيّـض فـيـه الـدمـعَ مـنـفـرطَ العقد[5]
وأَنجـــو كـــأَن الـــورد أَلـسـنـةُ الـلـظـى
وبـي مـثـلُ مـسّ الـنـار مـن شـدة الوجد[6]

(1) الرسالة – العدد (651) 24 ديسمبر 1945.
(2) أدجن مربد: أسود مغبر.
(3) ساف واستاف: اشتم.
(4) أشاح وجهه أو نظره عن الشيء: أعرض عنه متكرهًا.
(5) حملاق العين: باطن أجفانها.
(6) أنجو: أسرع مبتعدًا.

هـو الـــورد، إلا أَنـــه الـيـومَ بـاقـتـي
إِلـى حـبـيَ الـغـالـي المـغـيَّـب فـي الـلـحـد
إِلـى زوجـتـي بـالحـسِّ والـــروح والحـجـى
وصـنـويَ مـن دون الـنـسـاءِ ومُعْتَدّي[1]
أَحـــجّ إِلـيـهـا أَحـمـل الـــورد زاهـيًـا
كـمـا كـنـت أَغـشـى دارهـــا خـاطـبَ الـود
وسـيـــان فـــي الحـــالـــيْن وردٌ وبـاقـةٌ
ولـكـنَّ هـول الخـطـب فـي الخـاطـب المُـهـدي
فـيـا بُـعْـدَ بـين الخـاطِـبَـيْن: مـؤمِّـلٌ
سـعـيـد، ومـشـؤومُ الـهـوى عـاثـرُ الجـد
وإِنـــي لأَسـعـى كـلَّ حـــينٍ لـقـبـرهـا
عـلـى قـدمِـي رسْـفَ المـكـبَّـل فـي القيد[2]
أَشُـــقُّ عـلـى نـفـسـي كـمـا هـان حسنها
وبـات رهـينَ الـتـرب والحـجـر الـصـلـد
وأُكـرِمـهـا أَن أَطـــرقَ الـقـبـر راكـبًـا
وإِن كـنـتُ مـهـدودَ الـقـوى قـاصـرَ الجـهـد
وآبَـــى عـلـى الأَهـــلـــين حـمـل تحـيّـتـي
فـأحـمـل طـول الـــدرب بـاقـتَـهـا وحـدي
إذا اسـتـشـرفـتْ عـيـنـي المـقـابـرَ ثـار بي
حـنـينٌ فَـحَـثْـحَـثْـتُ الخُـطـى طـائـرَ الوخد[3]
وأُجـــهـــش كـالمـشـتـاق حـــان لـقـاؤه
لمـن ذاق فـي أَحـضـانـهـا كـجَـنَـى الشهد[4]

---

(1) المعتد هو الذي يلتفت إليه.
(2) الرسف: هو المشي مشية المقيد.
(3) الوخد: السرعة.
(4) يجهش: يتهيأ للبكاء.

وأُفضي إلى المثوَى أَضّم رخامَه
وأَوسعه لثمًا كمستقدِح الزند
فيلقي رخامُ القبر ضمّيَ جافيًا
صليبًا، ويجزي حرَّ لثميَ بالبَرْد
وأَنظر للورد الجنيِّ نثرتُه
هنا كدم القربان في المعبد العِدّ[1]
فأرجو لوَ ان الرمز كان حقيقةً
وأَنِّيَ قربانُ الحبيبة لو يجدي[2]
وأَلمس معنى الورد يُهدَى احمرارُه
لمعروقةِ الأَجلاد شاحبةِ الجلد[3]
فأَبكي لها منزوفةً جَفَّ عودُها
وما كان أَجرى الماء في عودها الملد[4]
وأبكي لوردٍ كان في الخد واللَّمَى
وقد كان أَندى الوردِ طُرًّا على كَبدي
تمرُّ بيَ الساعاتُ ما إن أُحسّها
فهذا الحِمَى أَلغى الزمانَ على الحدّ
أُطيل مقامي عازبَ الرشد ذاهلاً
فإن غربت شمسُ الضحى ثاب لي رشدي
فأَمضِي وشمسُ الغرب حمراءُ وردةٌ
وقد نَفَضَتْ فوق المقابر كالورد[5]

****

(1) العد: القديم.
(2) وصلت همزة (أن) لضرورة الوزن (م).
(3) أجلاد الإنسان وتجاليده: جسمه وأعضاؤه.
(4) أجرى صيغة التعجب. وكان زائدة. الملد: الناعم اللين.
(5) وردة مؤنث ورد: ما كان أحمر اللون إلى صفرة.

الموسيقى[1]

[من الكامل]

يـا قـلـبُ، شـأْنُـكَ والـسَّـمـاع عـجـيبُ
جـانـبـتَ مـجـلـسَـه وكـــان يـطـيـبُ
كـم شـاقـكَ الـنَّـغَـمُ الـبـديـع كـأَنّـه
رَجْـــعٌ لأَفـــلاك الـفـضـاء مُـجـيـب
يـعـلـو بـهـمِّـكَ سـاعـةً فـوق الـدُّنـا[2]
تـــرتـــادُ جَـــنَّـــاتِ الـعـــلا وتجـــوب
فـالـيـوم مـالـكَ لـيـس يـعـزف عـازفٌ
- يـا قـلـبُ - إلَّا هـاج مـنـكَ وجيب
لا تـسـتـخـفُّـكَ نـغـمـةٌ مـحـبـورةٌ
نـشـوى بـأَفـراح الحـيـاة صَـخـوب
إلا ذكـرتَ شـريـكَ أُنْـسـكَ فـي الـثرى
فَـغَـصِـصْـتَ، يـعـصِـرُك الأَسـى وتـذوب
وزفَـــرتَ زَفْـــرًا كـالـشـواظ مـن اللظى
وشَـــرِقْـــتَ بـالـعـبـرات وهْـــي صبيب
يـا قـلـبُ، لا حَـــرَجٌ ولا تـثـريـبُ
إنْ سـاعـــةٌ مـــرّت وأَنـــت طـروب

(1) مجلة الكاتب المصري - فبراير 1947.
- وقبل العنوان عبارة: بعد انقضاء عامين (م).
(2) الدنا جمع الدنيا.

فـاسـتـأْنـف الـدنـيـا بمـا تحـلـو بـه
قـد سُـرَّ - إن يـومًـا سُـرِرتَ - حبيب
هـيـهـات! ذاك هـو الـرشـادُ وحـكـمُـه
لـو أنَّ قـلـبًـا الـرشـادُ يـثـوب

****

موسم الأُوبرا الإيطالية[1]

بعد غيبة في خلال الحرب العالمية

[من المتقارب]

لـقـد جـــاءَ قـــومُـــكِ اَهـــلُ الـفـنـونْ
جِـهـارُ الـعـقـائـر هُـــوجُ الشجونْ[2]
بـــــأَرضِ الـــفـــراعـــين اَفـــواجُـــهُـــمْ
تـــهـــزُّ الـــقـــلـــوبَ بـشـتَّـى الـلـحـون
بـنـو رُومـــــــةٍ مـــا شَـــــدَتْ أُمَّـــــةً
كـــشـــدْوِهِـــمُ فـــي عُـــــرامٍ ولـــين[3]
ولا ارتـــفـــعـــت مـــثـــلُ أَصـــواتـــهـــم
تَـــقُـــصّ المـــاَســـي عـــلـــى الـعـالـمـين
لـــكـــمْ قـــد صَـــغَـــيْـــتُ لأَلحـانـهـم
ســـنـــينَ تـــوالـــت عـلـيـهـا سـنـون
أُصـيـخ إِلـــى الـلـحـن صـاحـي الحِـجَـا
طَـــــروبَ الـــفـــؤاد قـــريـــرَ الـعـيـون

(1) نشرت بمجلة الكاتب – فبراير 1947.
– في مقالة عنوانها «حياتي في الأوبرا» روى صدقي قصة القصيدة، فقد كانت زوجته الإيطالية الراحلة، تحب الفن الموسيقي للأوبرا، وفي الموسم الأول بعد الحرب العالمية، وفي ليلة التدريب الأخيرة للفرقة الإيطالية، وكان حريصًا على حضورها بوصفه وكيلًا للدار، جاشت في نفسه الذكرى الفاجعة، وأمسكت بمخنقه الزفرات، يقول: «ولم يأت الصباح حتى كانت نفسي قد أخذت في الهدوء بعد أن أفرغت صدمتها العاطفية في هذه الأبيات» تراجع: مجلة روزاليوسف – 22 ديسمبر 1969(م).
(2) العقائر: جميع عقيرة، وهي صوت معبر عن الألم في الغناء (م).
(3) عرام: شدة (م).

أُتـــابـــع مـنـهـا أَفـانـيـنـهـا
وأَظـــفـــر مـنـهـا بـــذُخـــرٍ ثـمـين
أُقـــضِّـــي بـــقـــيَّـــةَ عـــامـــي بـهـا
مِـــن الـــهـــمّ فـــي ظـــلِّ حـصـنٍ حصـين
لـقـد حَـــطَّـــتِ الحـــربُ أَوزارَهـــــا
وعـــــاد بـــنـــو رومـــــــةٍ لـلـفـنـون
أُولـــئـــك هُـــمْ قَـــدِمـــوا أَرضَـــنـــا
وكـــلُّـــهُـــم جِـــلَّـــةٌ مُـحـسـنـون
فـمـا لـي وقـد عـادنـي شَـدْوُهـم
أَصـــيـــخُ فـيَـمْـلـكـنـي كـالجـنـون
وتَـــطـــرق أَلحـــانُـــهـــم مَـسْـمـعـي
فـــأَشْـــرَق مـنـهـا بـدمـعٍ هَـتـون
أُولـــئـــك قـــومُـــك فـــي أَرضـــنـــا
وقـد طـال لـلـشَّـدْوِ مـنـكِ الحـنـين
تَـــوَافَـــوْا وأَنـــتِ دفـــينُ الـثَّـرى
فـيـا لَـيْـتَـهُـمْ يُـسـمـعـون الـدفـين

****

عودة الربيع[1]

[من الطويل]

عَـهِـدْتُـكِ طـولَ الـعـام ذاهـبـةَ الـصّـبـرِ
مـن الـشـوقِ تَستعْدين شـهـرًا علـى شـهـرِ
شَـغـوفًـا بـأيـام الـربـيـع فـإن أتَـى
تمـنّـيـتِ لـو يـبـقـى الـربـيـعُ مـدى الـدهـر
يـشـوقـكِ مـنـه الـعـطـرُ والـلـونُ والـسـنـا
ومـعـنًـى وراء الـنـور والـلـون والـعـطـر
مـعـانٍ وراء الحـسّ أحـسـسـتِ كـنـهَـهـا
وآثـرت ألا تـهـتـكـي حُـجُـبَ السّتْر[2]
كـذاك تـعـرَّفـتِ الـربـيـعَ جـمـيـعَـه
وأُشـرِبْـتِـه بـالحـسّ والـروح والـفـكـر
كـأنَّ ربـيـعًـا قـد حـواك حـويـتِـه
وشـاركـتِـه فـيـضَ الـنـضـارة والـبـشـر
تـطـالـعـه عـيـنـاي فـي بـسـمـة الـثـغـر
وفـي لـونـك الـزاهـي وفـي خـدّكِ الـخـمـري
وأسـمـعـه فـي هـمـسـةِ الحَـلْـي والخُـطَـى
وفـي صـوتِك الـشـادي كـمـا سَـجَـع القُـمـري

(1) نشرت بمجلة الكتاب – يونيه 1951.
(2) الكنه: جوهر الشيء وأصله.

وأستافُه من طيبِ فيكِ كأنني
أباكرُ روضًا طَلَّهُ باكرُ القَطْر[1]
وألمسه في يقظةِ الحب بيننا
كما عُلّ سكرانان سكرًا على سكر
فهذا ربيعُ الأمس جاء معاوِدًا
يُحييك بالريحان والقُضُبِ الخُضر
أتى يعلن الأفراحَ في كل بقعةٍ
بأرضٍ، وفي جوٍّ، وفي السهلِ والوعر
يُزَجِّي لأعْراس الحياة مواكبًا
مزيّنةً بالزهر صادقةَ الطير
وقد أقبلت هذي المواكبُ كلُّها
عليكِ هنا في المدفن النازحِ القفر
فهاجت به الأصداءُ من بعدِ صمتِهِ
وغَطَّتْ على تقطيبه ضِحكةُ الزهر
فحولكِ جناتٌ من الدوح وارفًا
أثيثًا، يُقِرُّ العينَ بالورق النضر[2]
وفي السمع تغريدُ الطيور مردِّدًا
حديثَ هوًى ما إن يُمَلُّ على الذكر
وفي الحسّ تَجميشُ النسيم مُهفْهِفًا
رَخيًّا يَلَذُّ الحسَّ تجميشُه المُغري[3]

(1) أستاف: أشتم.
(2) الأثيث: الكثير الملتف.
(3) التجميش: المغازلة والملاعبة.

ولا كالربيعِ الطلقِ في الأرض داعيًا
يُحبّب في الدنيا وفي فُسْحة العمر
تداعَى له من باطنِ الأرض عالمٌ
من النبت واخضرّ الجمادُ من الصخر
فقومي استجيبي للربيع دعاءَه
ودعواتِ قلبٍ منذ غبتِ على جمر
أهِلِّي فما عُرْسُ الطبيعةِ شائقي
إذا لم تُهِلّي يا عروسي من الخِدر
وهيهاتَ يصحو من عميقِ سُباتِه
ويَنفضُ عنه تربَه ساكنُ العفر
فيا رَبِّ! كم يأتي الربيعُ وينقضي
ويَعْقُبه ثانٍ وَيَلحق في الإثْر
ويغدو علينا ثالثٌ ثم رابعٌ
وزوجيَ في تلك الغيابة لا تدري
خواطرُ قد أسْلَمْنَ قلبيَ للجوى
وللبأسِ، لولا خاطرٌ حاك في صدري
لقد شاء حُبِّي أن يقرِّب بيننا
فآتاكِ في وهمي حياةً من الشعرِ
فأنتِ هنا تحت الرخام ضجيعةً
كما رقدت حسناءُ في عُقْلة السحر
سكنتِ ولكن ما برحتِ مُجسَّةً
تُحِسّين في تلك السكينة ما يجري
يوافيكِ من دنياكِ في رقدةِ الردى
– كطيف الكرى الساري – خيالٌ لها يسري

فما من ربيعٍ قام في الأرض عُرسُه
وأدبر، إلّا كنتِ منه على خُبر
وما جئتُ أسعى نحو قبرك زائرًا
حزينَ الخُطَى إلا تهلَّلْتِ للزَّوْر
وتُلقين في روعي إذا طال مجلسي
إليكِ وقد طاب الظلامُ مع البدر
بأنكِ في وجدٍ وشوقٍ لَمَسْحةٍ
بكفي، وتربيتٍ على الخدِّ والشّعر
إذا بيَ - في جنح الدجى - متهالكٌ
على القبر مغلوبٌ هناك على أمري
أقَبّلُ مبناهُ وأمسحُ ركنَه
وأحنو عليه في وِدادٍ وفي بِرّ
وأمضي كأن أقررتُ عينَك والحشا
وآوي قريرَ العين وَهْنًا إلى عُقْري
إذا ما احتواني البيتُ راجعتُ خاطري
أُبَصِّره في وهْمِه أوْجُهَ العذر
تُرَى حالُها ما صَوَّر الوهمُ غَضّةً
نَؤُومًا قريرَ العين في ذلك القبر؟
تُرَى شاركتنا في الربيع وفي الهوى
وزادت علينا الأمنَ من صولة الدهر؟
أكاذيبُ من نَسْجِ التدلّه والأسى
ويا بُعْدَ بين الوهم والواقع المُرّ[1]

****

(1) التدله: ذهاب القلب من هم ونحوه.

رؤيا في مطلع السنة المسيحية

[من الخفيف]

أيُّ قـلـبٍ كـمـثـل قـلـبـي الجـريـحِ
زاره فـي الـدجـى كـطـيـفِ المسـيـحِ
فـي يـديـه وفـي أشـاجـعِ رجـلَـيْـه
ه نـدوبٌ وضَّـاءةٌ مـن جـروح[1]
وعـلـى رأسـه المـقـدّسِ إكـلـيـ
لٌ مـن الـشّـوك مُـضْـرَجٌ بالنضيح؟[2]
لاح لـي الـطـيـفُ لحـظـةً فـارعـوى القَـلْـ
بُ عـن الـوجـد والـلـجـاج الجـمـوح
كـلُّ هـذي الآلامِ يـحـمـلُـهـا «الـفـا
دي» ويمـشـي بـهـنّ مَـشْـيَ الطليح[3]
فـي اصـطـبـارٍ عـلـى الأذى مُـسـتـكِـنٍّ
وسـكـونٍ بـادي الـسـمـاتِ صـبـيـح
خَـفّ شـجـوي لمـا رأيـتُ شـجـاه
أيـن ذاك الـتَّـبْـريـحُ مـن تـبـريـحـي
واحـتـوانـي ذاك الـسـكـونُ، ولـولا
أن حـوانـي، جـمـحـتُ فـوق جـمـوحـي
هـكـذا كـنـتَ يـا ابْـنَ مـريمَ لـما
عُـدْتَـنـي، والـقـريـنُ رهـن الـضـريـح

(1) الأشاجع: أصول الأصابع.
(2) النضيح: ما سال من دم أو عرق.
(3) الطليح: المتعب.

عُـدتـنـي أرْمـــــلاً بـغـيـرِ عـــزاءٍ
فـــــإذا بـــالـــعـــزاء والـــتـــرويـــح
عُـدتـنـي حـامـلاً جـــروحَ يـسـوعٍ
كـي تُـعَـزّي تـلـك الجـــروحُ جـروحـي
فـعـلـيـك الـســـلامُ مـــن عـربـيٍّ
مُـسْـلِـمِ الـقـلـب والحِـجـى والـــروح

****

المحتوى

- التصدير 3
- الحضور الإيطالي في شعر عبد الرحمن صدقي 5
- الشاعر عبد الرحمن صدقي في سطور 27
- المختارات: 31
- أولاً: قصائد الرحلة إلى إيطاليا: 33
  - **قبل السفر** 35
  - **الليلة الأولى على البحر** 37
  - **ميناء نابولي** 40
  - **المدينة الخالدة** 43
  - **فلورنسا** 53
  - **جِنْوا** 59
  - **البندقية** 62
  - **وداع إيطاليا على بحيرة كومو** 69
  - **رجعة المسافر** 73

- ثانيًا: من مراثي الزوجة الإيطالية «ماري كانيلا»: 75

- **الصرخة الأولى** 77
- **الواقعة** 79
- **في الوحدة**.....83
- **طريقي** 87
- **في البيت**.....89
- **حيرة**.....92
- **العام والخاص**.....97
- **السلام يا «مريم»**.....100
- **الفردوس المفقود** 102
- **الورد الأحمر** 105
- **الموسيقى** 108
- **موسم الأوبرا الإيطالية** 110
- **عودة الربيع**.....112
- **رؤيا في مطلع السنة المسيحية** 116

- المحتوى 118

****